أبناء العم وسام



رواية

عادل التنصل



أبناء العم وسام

الجزء الرابع

المحمول والستالايت

كان عليهم أن ينتظروا أربعة وعشرون ساعة حتى يبلغوا عن غياب الأم..مـــرت وكأنها دهرا من الزمن..كلهم ظنوا أن سوءا قد حدث لها..هل تكون قد انتحرت بعد حالة الاكتئاب التي اعترتها في الفترة الأخيرة؟!..هل تكون قد ذهبت إلى الزقازيق لتقيم في البيت الذي لم يحسم أمره بعد؟!

سافر "فريد" إلى الزقازيق لكنه لم يجدها..عاد وتوجه مع أخويه وابن عمه "بسام" للإبلاغ رسميا عن غيابها.

مـــرت أربع وعشرون ساعة أخرى ولم يستدل عليها فانهارت ابنتها "وسام"..وراحت تلقي بالتهم عليهم بإهمالهم لها وقالت:-

انتم كلكم أنانيين..ماحدش بيفكر الا في نفسه..بقى ده جزاها بعد ما خليتكم رجالة واقفين على رجليكم.

التزموا الصمت وأطرقوا..وساد السكون بيت "فريد" حتى قطعه رنين التليفون المستمر فعرفوا أنه من خارج القاهرة فرفعت السماعة في لهفة..فجاء صوته عبر التليفون..صوت ألفته ولكنها لم تتذكره..عرفها بنفسه قائلا:-

أنا كمال..زميلك في مدرسة آمون وجارك في بورسعيد.

ساد الوجوم وجهها وأخوها يسألونها عن المتحدث في لهفة ثم عادت إلى المتحدث مرة أخرى الذي قال:-

أكيد نسيتيني..لكن أنا احب أطمنك أن ماما عندنا.

عندكم فين.

في بورسعيد.

صرخت في فرحة وقالت:-

لقينا ماما..ماما في بورسعيد.

تنفس الثلاثة الصعداء ثم قالت "وسام":-

أنا هاكون عندكم في بورسعيد بعد ساعتين تلاتة.

قال لها مؤكدا:-

ما تتعبيش نفسك يا وسام..أنا باكلمك عشان أقولك إن

أنا اللي في الطريق بس يا ريت تديني العنوان بالظبط عشان..عشان ماما مش فاكراه.

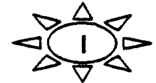
تسلل القلق إلى نفسها وارتعش جسدها وصوتها وقالت متسائلة:-

● ليه جرالها ايه.

● ماما بخير يا وسام..لما أجي إن شاء الله هافهمك كل حاجة.

وضعت السماعة في حالة ذهول وراحت تفكر فيما فعلته أمها وقالت لأخواتها:-

● ماما راحت بورسعيد..عارفين ليه..عشان حاسة بغربة وسطينا..وسط ولادها.



بعد ساعات..وصل "كمال" وترافقه الأم التي ما أن رأتهم ظلت تبكي بحرقة مما أذهلهم جميعا فاصطحبتها "وسام" إلى غرفتها بعد أن صافحت "كمال" ثم عادت وقابلته بترحاب بالغ وسرعان ما عادت القلوب تدق على نسمات ماض جميل لم يطل.

انطلق الأخوة الثلاثة إلى حجرة أمهم يقبلون يديها وقدميها..طالبين

رضـــاها بينما جلست "وسام" مع "كمال"..عرفت منه أنه عين في الترسانة البحرية وأن أمه توفيت بعد أبيه وأنه يعيش وحده في نفس الفيلا

قال لها مازحاً:-

● أنـــا باقرا المجلة اللي انتي بتكتبي فيها..وعرفت إن انت وســـام وسام..لما كنتي بتحكيلي وأنا في الإعدادي عن العم وسام..الأب الروحي لعيلتكم.

نظرت إليه مدققة ثم قالت في جرأتها المعتادة:-

● انت بقيت شاب وسيم زي ما توقعت.

● وانتي بقيتي...

ثم صمت لحظة فضحكت من قلبها وقالت:-

● انت لسة بتتكسف.

ظل صامتا ثم قال:-

● أنا كنت بافكر فيكي طول المدة اللي فاتت وباتمنى إن بورسعيد بسماها الجميلة تجمعنا من تاني.

شعرت بارتباك شديد وقالت:-

● بسرعة كدة.

● أنـــا حاسس ان مامتك جتلي نجدة من السماء..عشان تقرب القلوب اللي اتباعدت.

خـــرج "فـــريد" من حجرة أمه ونظر إليهما وابتسم وقد شعر بأن القلوب مازالت متعلقة ببعضها دائما يتمنى أن تتزوج برجل تقتنع به لشخصيتها القوية وحتى يزاح كابوس الخوف عليها فتكون مسئولة من رجل..ثم توجه إلى التليفون وأدار القرص وطلب الحاتي لإرسال عشاء لهم جميعا وقد سمع "كمال" فنهض وقال:-

● استأذن أنا عشان ألحق أرجع بورسعيد.

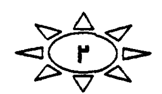
نظر إليه نظرة ذات مغزى وقال:-

● لحقـــت تزهق مننا..يا سيدي اتعشى معانا وأنا هاجي أوصـــلك أنـــا وسمـــير لحد محطة البيجو..بس يا ترى هنشوفك تاني.

قال في تلقائية وتأكيد:-

● أكيد..ده انتم أكتر من أهلي.

ثم نظر إلى "وسام" وابتسم.



ظلـــت الأم منعزلة في حجرتها لا تحدث أحد..وتحاول "وسام" جرها إلى أحاديـــث لكنا لم تجاريها فيها..حتى ذكرت اسم "كمال" فبدأت تصـــغي إلـــيها..قالـــت لها أنه صرح لها أنه يريد الاقتران بها فبدت الفرحة على

وجههـــا وتضائل الاصفرار الذي اعتلاه وردت فيها الدموية وقالت بصوت متحشرج:-

- يا ريت يا وسام..هتعيشي في أجمل بلد في الدنيا؟؟أيام يا ريـــتها تعـــود..كانـــت وحشاني وغصب عني رجليا جرجرتني ليها.

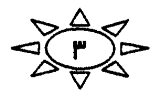
ضحكت "وسام" من قلبها وقالت لأمها متسائلة:-

- وإيـــه اللي قومها في دماغك..وازاي سافرتي ووصلتي للبيت.
- الفكرة بقالها مدة في دماغي يا بنتي وكأن شيء سحرني وجرجرني لحد محطة القطر..ركبت تاكسي واطمنت إن معايا فلوس توديني وما فكرتش أرجع تاني.

قالت لها معاتبة:-

- يــاه..للدرجة دي اتضايقتي مننا يا ماما..ده إحنا أربعة ماليين حياتك.
- اســكتي اسكتي وخليها في سرك..كل واحد ملهي في حاله..هي الدنيا كدة وأنا مستحملة لحد ما ربنا يفتكرني
- بعد الشر عليكي يا أمي.
- الشـــر يا بنتي لو ما وافقتيش على العرض اللي عرضه عليكي كمال.
- ربنا يعمل اللي فيه الخير.

وســرعان ما سمعت صوت جرس التليفون فانطلقت ناحيته سريعا وقلبها يحدثها أنه هو..فكان ما توقعته..كانت في شوق بالغ لسماع صوته الدافئ..ظلا يتحدثا أكثر من ساعة جدد فيها عرضه للاقتران بهــا..كانت مترددة فهي تحب عملها فكيف تضحي به وتبتعد عن أضواء الشهرة الصحفية..فعرض عليها أن يلحقها للعمل معه بالهيئة بالعلاقات العامة وممارسة هوايتها الصحفية في إحدى الصحف المحلية ببورسعيد فسرها كلامه وانتظرت تقدمه لخطبتها.



جلسة عاصفة أخرى بين "همام" و"سمير" و"بسام"..تم تصفية الشركة وأخـــذ كـــل منهما نصيبه المالي في الشركة وتعهد أمام "منير" الذي كـــان يحرر العقود القانونية بأن كل منهما سيأخذ نصيبه من الفيلا وبيت الزقازيق بعد تقيمهما.

كان "فريد" جالسا كضيف شرف وقلبه ينزف دما وتحجرت الدموع في مقلتـــيه علـــى هذه الأسرة التي كان يجمعها رباط وثيق حسدهم الـــناس عليه..لكن ما يصبره أن أخوه وابن عمه ينتقلا إلى الزقازيق مرة أخرى حتى لا ينقطع من جذوره.

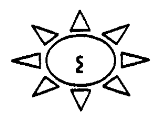
اغرورقت عيني "همام" بالدموع وقال بصوت مخنوق:-

أنـــا عملت اللي يريحكم واللي يرضيكم..عشان إحنا ولاد أصـــول وياريت الأخوة اللي بني وبينك يا بسام انت وأختك نجاح ما تتأثرش..الفلوس بتروح وتيجي.

تأثر "سمير" و"بسام" لكلامه والتزما الصمت..ورمى "فريد" نفسه في حضن "همام" وظل يبكي وقال بصوت متحشرج:-

العيلة بتاعتنا جمعها مبدأ..والمبدأ يصد المال ويوقفه عند

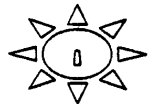
حده وأنا عندي أمل ربنا يلم الشمل من جديد.



في ظـــل تلك الزوبعة..تقدم "كمال" للزواج من "وسام"..قدم كل تسهيلاته لإتمام الزواج على وجه السرعة..ترددت "وسام" في بادئ الأمر فقراره السريع أفقدها توازنها لكن الجميع يرحبون بهذا الزواج وكـــأنهم يريدون التخلص من عبئها..كان شرطها أن تصطحب أمها لتقيم معها فوافق "كمال" على الفور وقرر أن ذلك الأمر سيسعده.

في حفـــل بهـــيج في مـــترل "سمير" و"بسام" الجديد..تم عقد القران والـــزفاف..حضـــر "همام" و"منير" دون زوجتيهما ورافقا العروس بسياراقما حتى بورسعيد وعادوا جميعا فجرا.

ظلـــت "وسام" تنظر إلى البيت المطابق في شكله الهندسي من الداخل والخـــارج للبـــيت الذي كانت تقيم فيه مع أبيها وأمها..استرجعت شريط الذكريات من الطفولة والصبا حتى مغادرتهم للمدينة..كانت سعيدة أن يكون امتداد حياتها في المدينة التي تربت فيها.



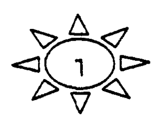
استقرت "وسام" ابنة "سمير" في القاهرة مع زوجها مما أحزن أمها التي استـــقرت في الـــزقازيق في بيتهم الجديد وكان "بسام" سعيدا بابنه الصـــغير نشأت وحول "زينات" من كلية طب القاهرة إلى كلية طب الزقازيق لتكمل تعليمها.

"محســـن" ابن "ضحى" أصبح مشرفا على محلات "همام" ومعه زوج "أميمة" وترك لهما "همام" الحبل على الغارب وعاد يمارس هوايته التي فرضـــتها علـــيه زوجـــته "ضـــحى" مـــن رحـــلات إلى المصايف والمشـــاتي..تشـــعره دائما أنهما مازالا زوجين في شهر العسل مما أثار زوجـــة "مـــنير" كانت تتمنى أن تزج بابنها "وسام" في تلك الشركة فهـــي على يقين أن شهادته ليس لها مستقبلا..وزجها "منير" لم يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام فهو مجرد المستشار القانوني لـــ"همام".

"فريد" عاد ليعيش بمفرده في شقته التي بدت موحشة..بعد أن خلت مـــن أنفـــاس أمه وأخته "وسام"..فعاودته حالة الاكتئاب والشعور بالـــوحدة في ســـن خطـــرة يحتاج فيها إلى أصوات تناجيه و أنفاس

تشـــاركه الحـــياة وأمل يعيش من أجله..الأمر الذي يهون عليه هو زيـــارة "وسام" ابنة اخيه "سمير" وزوجها على فترات متقطعة..كان يقول:-

الســـاعة ما عادتش بتبين الزمن الحقيقي..وساعة إيدي اللي أخدها من عمي وسام..اتوقف الزمن فيها عند كل شـــيء جمـــيل..لكنه اختفى مع ناس زمانه..يا ترى يا عقارب يااللي بتلفي بانتظام مخبية وراكي إيه تاني بعد ما بقيت في وادي واخواتي وولاد عمي في وادي تاني.



زوجـــة "منير" كانت تود أن تختلي به وما أن واتتها الفرصة بدأت تلمـــح لـــه بأن يجعل "منير" كشريك له..وناولته مبلغا من المال قد اقتطعته ووضعته بين أسنانها..فرحب قائلاً:-

إنتي هتوصيني على ابن عمي..ده هو صاحب المصلحة كلها وشايف شئونها القانونية..ده أنا ما اقدرش اتصرف أي تصرف إلا لما أرجع له..آه..راجل قانون وفاهم.

ثم رد إليها الفلوس وأخبرها أنه سيدبر ذلك الأمر بعد أن يعيد باقي المبالغ المستحقة إلى أخيه "بسام" وابن عمه "سمير".

لاحظت "ضحى" ذلك فسألته وما أن أخبرها بتلقائيته المعتادة فوجئ بها تقول:-

- شوف يا حبيبي..منير على عيني وراسي من فوق..لكن أنــا مــا صدقت إن الشركة بقت بيني وبينك بس ما ينفعش حد يخش بينا..لا في شغلنا ولا حياتنا الشخصية.

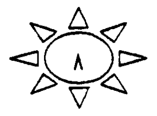
٧

مع أول دوران لماكينة الخراطة..قفز قلبيهما من الفرحة..كل منهما ينظر إلى الأخر ويقول:-

- سامع يا بسام.
- ســامع يا سمير..صوت اتحرمنا من سماعه سنين..صوت المكــن..حــتة الحديد الصامتة تطلع من المخرطة كأنها بترقص بعد ما تتحول لمسمار أو شريحة تتحط في ماتور عربية..لكن الزمن سرقنا.

سنهما جعل حركتهما بطيئة رغم حماسهما..طاقة الجسد لا تساعدهما على العمل طوال اليوم كسابق عهدهما..فكرا في أن يلحقا عامل أو اثـنين للعمل بالورشة فتحدثا مع شيخ البلدة للبحث عن عامل من نفس القرية..فأحضر لهما العشرات..فتعجبا حينما علما أن معظمهم بكالوريوس هندسة..يريدون العمل كعمال بأي مقابل في وقت بدأت الـبطالة تزحف على كل قرى مصر ومدنها..هل هذه نهاية التعليم الذي باعوا من أجله الغالي والثمين..منهم من باع قيراطا أو اثنين أو استدان من الغير.

ألحقوا عددا منهم مما زاد من إنتاجية الورشة وجعلها على مقربة من تحقيق حلم كان بعيدا.



يذهب إلى العمل صباحا و يعود ليلا..يغط في نوم عميق..تنتظر حتى يستيقظ في السابعة مساء..يخرج ليعمل ليلا في شركة قطاع خاص..يفعل ذلك في سرية فعرف العاملين في الهيئة ألا يلتحقوا بعمل آخر حتى لو كان في وقت الفراغ..تحاول أن تذكره بما وعدها به

فيقول لها:-

● يــا وســـام يا حبيبتي..انتي ناقصك حاجة؟..إيه لازمة الشـــغل..إنــتي شايفة اني ليل نهار باشتغل..هتبقي انتي كمـــان..ده غير انك حامل ولازم تحافظي على اللي في بطنك.

● خلاص يا سيدي..بلاش الوظيفة اللي انت وعدتني بيها في الهيـــئة..شغلني في أي جرنال أو مجلة محلية برضة زي ما وعدتني.

قال وهو يتلعثم:-

● انشاء الله..كل شيء بأوانه..أنا خارج ويمكن أتأخر.

ظلت تتابعه بنظراتها حتى خرج من البيت فلامتها أمها قائلة:-

● يــا اخـــتي انتي عاوزة تتمرمطي.. الراجل مش ناقصه حاجـــة في بيته..شغال زي الطور في الساقية عشان ما يقصرش معاكي

● يعني انتي كنتي سامعة يا أمي.

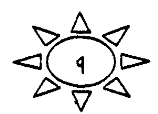
● غصب عني يا بنتي..أنا مش عاوزة الشيطان يدخل

بينكم..الست مالهاش غير جوزها وبيتها.

قالت في غضب وثورة:-

- لأ مــش أنــا يا أمي..أنا درست وبقى ليا تجارب في الحياة..لا يمكن أكون صورة منك.
- الله يسامحك يا بنتي.
- أنا أسفة يا أمي..بس..أصل....
- لا بس ولا أصل..أصل انتي دماغك ناشفة زي أخوكي فــريد..يا بنتي البلد دي ريحها خفيف وما عدتش أقدر أسيبها..قلبي متعلق بيها ونفسي لما أموت اتدفن فيها.

ظلت تنظر إلى أمها في اعتراض وظلت تنفخ وتتنقل بين أروقة البيت الذي أصبح سجنا للعصفور الجميل.



قــام مــن نومه مفزوعا على أثر حلم مما أفزع "ضحى" التي لامته قائلة:-

- معقــول يــا همام..كل يوم بانام بالعافية من شخيرك والليلة دي تقعد تصرخ وتزعق.

نهـــض وتناول زجاجة مياه من الثلاجة وشرب منها بشراهة ثم بلل يديه بالماء ومسح وجهه وقال:-

● اللـــهم اجعلـــه خير..أنا كنت باحلم..لأ انا كنت في كابوس.

● ما هو باين..عشان كدة عمال تقول ابعدي النار عني يا أما.

صمت وظل مذهولا..ثم سألها في تلقائية:-

● هو رمضان امتى يا ضحى.

● رمضان..لسة بدري إحنا في نص رجب.

ظل يبكي ويتذكر أيام رمضان التي كانت تضمه مع أسرته..تمنى لو تعود تلك الأيام ولكن كيف يعرض عليهم هذا الأمر..البيت مازال قائما في الزقازيق..ثم تراجع في نفسه فقد يُقابل عرضه بالرفض عند اخـــوته..ثم ارتدى ملابسه في عجالة ونظرت "ضحى" إليه في ذهول وقالت:-

● على فين يا همام الساعة دي..إحنا الفجر.

لم يجبها واستمر في ارتداء ملابسه..ثم خرج من حجرته يهرول على الســـلم الداخلـــي وخـــرج من الفيلا وركب سيارته وانطلق ناحية

مسجد الحسين وقد لحق بالمصليين في الركعة الثانية من صلاة الفجر وما أن فرغ من الصلاة جلس في ركن من المسجد والدموع تتساقط من عينيه ثم خرج من المسجد بلا وجهة معينة..حتى وجد نفسه أمام بيت "فريد".

صعد السلم وضغط زر الجرس وانتظر لحظة ثم عاود ضغط الزر مرة أخرى..فتح "فريد" وهو يفرك عيناه..أصابه القلق عندما رآه وقال:-

- خير يا همام في حاجة حصلت.

دخل "همام" وألقى نفسه على أول مقعد..أغلق "فريد" الباب وظل ينظر إليه مندهشاً فنظر إليه "همام" وهو مكفهر الوجه وقال:-

- خير يا فريد..مافيش حاجة حصلت..أنا لسه ما فطرتش.

انطلق "فريد" إلى الثلاجة واخرج بعض الجبن والحلوى والمربى ووضعهم على السفر وقال:-

- أنا هادخل أعلق على الشاي وهأفوقلك.
- الله..من زمان ماسمعتش كلمة هاعلق على الشاي..كلمة أمي الله يرحمه..بس انتي ليه عملتي كدة

فيا يا أمي.

نظر إليه "فريد" مندهشا ثم توجه ناحية المطبخ بينما "همام ظل ينظر إلى البيت الصغير البسيط وقال في نفسه"يا سلام يا فريد يا ابن عمي..أنا باحسدك على عيشتك..مش حامل هم لا مكسب ولا خسارة..ولا بيع ولا شرا..لقمتك على قد بطنك وشغلك بمزاج ولا تقلق من زوجة ولا عيل"

عاد "فريد" ومعه الشاي ووضعه على المنضدة وفي يده الأخرى الخبز..دعاه إلى السفرة فقام "همام" متثاقلا وجلس إلى السفرة وبدأ يأكل بنهم ويقول:-

- الله..لقمة ولاد وسام بتاعة زمان..لقمتك لسة نضيفة يا فريد.
- بالهنا والشفا..انت ما قولتليش إيه اللي مصحيك بدري كدة وايه سر الزيارة المفاجأة دي..ده انت وقعت قلبي يا أخي.
- انت يا فريد..دونا عن ولاد عمي وعن أخواتي أكتر الناس القريبين لقلبي..أنا جيتلك عشان..عشان....
- عشان إيه يا همام.

لو قولتلك هتضحك عليا

فشر يا ابن عمي.

شوف يا سيدي..أنا حلمت حلم..كنت عاوز الأستاذ اللي بيفسر الأحلام عندكم في الجرنان يفسرهولي.

ظل يضحك وقال:-

انــت بتصدق الحاجات دي..أنا ساعات باحل محله في العملية دي.

خلاس فسرلي الحلم.

قول يا سيدي.

إحنا كنا قاعدين في بيتنا القديم في الزقازيق وبنفطر كلنا فـوق السـطوح ومعانـا أمـي وأخـويا تمام وأختي صـباح..وشوية وأمي قامت دلقت الأكل وهو سخن على دماغي..فقعدت أصرخ وبعدين لقيت تمام وصباح بيجرجـروني مـن رجلي ورفعوني فوق سور السطوح ورموني في خرابة المعلم رمضان اللي كانت ورا بيتنا.

صمت "فريد" وتغيرت ملامح وجهه وقال:-

طالبين منك زيارة وصدقة على أرواحهم وكمان....

كمان إيه يا فريد.

أطرق قليلا ثم قال:-

بابن عليهم زعلانين من اللي حصل بين الأخوات..زي ما حصل بين العراق والكويت.

صحيح احنا هنبعت قوات من مصر.

أيـوة عرب ومسلمين هيرجعوا أرض عرب ومسلمين استولى عليها برضة عرب ومسلمين.

نهض "همام" بعد تناول الإفطار وقال له في حماس:-

بينا على الزقازيق نزور قبر أمي وأختي واخويا.

عشر دقايق أغير هدومي وأجي معاك.



حُررت أرض عربية اغتصبها عرب..وكانت حرباً بها طرف ثالث من العـرب أيضاً..من السعودية والخليج ومصر..كانت زهرة ملطخة بالـدماء لإعادة القومية العربية..لم يعترف المعتدي باعتدائه ولم يجن شيء غير فاتحة خطيرة لدخول الأجانب الأراضي العربية بعد نسياننا ذلك.

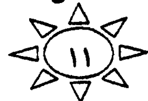
مات من مات..من المحتل والمحتلين والمدافعين..هل هم شهداء؟!..عاد الكثيرون معوقون بعد الانتهاء من مهمة الدفاع وتصحيح الأوضاع وإعادتها لما كانت عليه.

عادت الكويت محررة من محتل عربي مسلم ولكن الأجنبي بقي بها بحجة الدفاع عنها إذا ما تكررت المحاولة..وعادت الجيوش العربية كل منها إلى وطنه..وصمة في تاريخ العروبة لن تنسى مهما مر الزمان.

هذه سطور كتبها "فريد" وعرضها على رئيس التحرير فلم يوافق على نشرها وقال:-

- ما تزعلش يا فريد..الموضوع مش مرفوض عشان حلو أو وحش..لكن خليك في الخط اللي انت ماشي فيه واللي انت بتحبه اللي هو الفن.

لم يغضب "فريد" لأنه فرغ الشحنة من داخله بعد أن كادت تقتله.



"زينات" تسافر من الزقازيق يوميا في القطار حتى كليتها في القاهرة..تجد "وسام" في انتظارها بمحطة باب الحديد..يستقلان سوياً

"تاكسـي" حتى كليتها ثم يتوجه إلى كليته..وعدها أن هذه السنة الأخيرة له في الكلية وأنه على يقين أنه سيتخرج هذا العام من أجلها فقـط..كانت نظرتها له في بادئ الأمر لا تتعدى الإعجاب..لكنها الآن أصـبحت حبا من طرفين..كل ما يخشاه هو كيف سيواجه أمه بعـد تخرجه حينما يعلن رغبته في الاقتران بها وهي تتعشم أن يلتحق بشركة "همام"..تريد أن تزرعه فيها كما زرعت أختها ابنها "محسن" الـذي أصـبح يتصرف في أمور الشركة بتوجيه من أمه و"همام" لا يعـارض ذلك فهو راضٍ عن زوجته "ضحى" بالرغم من عدم رضاه أحيانا عن تصرفاتها ولكن تعلقه بها يجعله يقبل أي شيء منها.

١٢

جـاء رمضان هذا العام حزينا على الجميع..كلهم في شوق للتجمع في منزل الأسرة الذي أصبح كالأطلال ومطمع لكل أهل الشارع.

"فريد" حزن لبعد أمه وأخته عنه..لم يكن يدرك أن وجودهما معه في شـقته كان يشع ذلك الدفء الذي افتقده..دعته "وسام" ابنة أخيه "سمير" لقضاء أول أيام رمضان معها هي وزوجها..انهمرت الدموع مـن مقلتـيه رغمـا عنه مما أثر في "وسام" وزوجها فهي تعرف أن

رمضان كان دائما موعد التقاء الأسرة.

"همام" هون عليه وجود "منير" وزوجته و"أميمة" وزوجها..لاحظت زوجته "ضحى" عليه الاكفهرار دائما فعرضت عليه أن تقضي أول أيـــام رمضان في بيتهم في الزقازيق فنظر إليها وقد بدا تائها وقال في نفســـه "مـــع مين وإزاي..عاوزنا نرجع زمان..قول للزمان ارجع يا زمان..وعمره ما هيرجع تاني"..فكر أن يكون ذلك الشهر صلحا مع أخيه "بسام" وابن عمه "سمير" ليقضونه في بيت العائلة لكنه خشي أن يضـــعوه في موقـــف حرج..تأكد أنه كلما مر الزمان تنفلت أشياء عزيزة من بين يدي الإنسان.

"بســـام" و"سمـــير" أحسا بطعم جميل وجديد لرمضان هذا العام في بيتهما الجديد وورشتهما التي بدأت تأخذ سيطاً على مستوى المحافظة والمحافظات المجاورة ولكنهما لم ينكرا فقدانهما لمشاعر الدفء الأسري الـــذي كـــان يجمـــع الأســـرة بجمـــيع أفـــرادها..كانت "وسام" "ابـــنة سمير ونجاح" تقضي معهم يوما كل أسبوع في رمضان..تسعد الأم بلقائها ولكن قلقها يزيد من عدم إنجابها حتى الآن.

ســـافر "فـــريد" في الـــيوم الثالث إلى بورسعيد ليقضي يوما مع أمه وأخته..كانوا جميعا سعداء بقدومه واستقبلوه بحفاوة بالغة..وكان

"فريد" سعيدا بحمل أخته التي أصبحت على وشك الولادة.

في اليوم التالي دعاهم جميعا للإفطار خارج البيت..ذهبوا لتناول وجبة كباب أسعدت "وسام" أخته..ثم توجهوا إلى القرية الرمضانية وقد بنى لها ديكورا أشبه بشارع الحميدي..أحد رموز شهر رمضان سواء قبل المنطقة الحرة وبعدها.

في اليوم الثالث ظل يتجول في المدينة الجميلة وشاهد الأبراج الشاهقة التي أصبحت سمة المدينة ثم توجه إلى محل حلويات لشراء حلويات رمضان من قطائف وكنافة محشوة بالجبن الأبيض الحلو..لم يأكلها في أي مكان ثم جاء قبل الإفطار بساعة حتى لحق بالمعدية وظل ينظر إلى السحب التي تنعكس على مياه قناة السويس..مشهد فريد..جعله يكتب قصيدة شعرية عن بورفؤاد أو المعدية ورمضان في بورسعيد الذي يتميز عن أي بلد آخر.

تناول الإفطار معهم ثم سافر في قطار الساعة السابعة ونصف بعد الإفطار عائدا إلى القاهرة وظل يتذكر الذكريات الجميلة في الأيام الثلاثة التي عوضته عن رمضان الذي افتقد مظاهره في الزقازيق بلده الحبيب.

"همـــام" مـــا أن مـــر الأســـبوع الأول مـــن رمضـــان إلا وشـــعربالعزلة..وأصـــابته حاة اكتئاب فظل يطارده حلم أمه وأخيه وأخـــته وظل يتردد على "فريد" يتناول معه الإفطار وحدهما في بيت "فـــريد" أو في أحد المطاعم الشعبية بحي الحسين..نصحه "فريد" أن يقوم برحلة إلى الأراضي المقدسة ليقوم بأداء عمرة رمضان له ولأمه فلـــم يتردد "همام" وألح على "فريد" أن يصطحبه معه فلم يتردد هو الآخر وسافرا في العشر الأواخر من رمضان.

في الحـــرم يبكـــي نهارا وليلا ويتوسل إلى الله أن يغفر له ذنوبه وأن ترضـــى عـــنه أمه..قام "فريد" هو الآخر بعمل عمرة لعمه "وسام" واستعدا للعودة أول أيام العيد.

في أثناء مروره بالأسواق لشراء هدايا للأهل..لفت نظره "الريسيفير" الخـــاص بـــ"الدش"..سأل عنه وعرف أن ثمنه غال للغاية..أخبره "فريد" أنه موجود بالقاهرة ولكنه محدود للغاية..تذكر أنه كان يرى الأطـــباق الكـــبيرة أعلى أسطح الأبراج الضخمة في الأحياء الراقية فكان الطبق آنذاك يبلغ قطره ثلاثة أمتار..اشترى "الريسيفير" وقرر

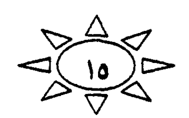
أن يشـــتري الطبق من القاهرة وعادا ووزعا كل منهما الهدايا على الأقارب والأصدقاء.

١٤

بهـــرت "ضحى" بهذا الاختراع العجيب الذي لم ينتشر بعد..اشتروا طبقا وتم تشغيل الجهاز بنظام "أنالوج" بواسطة مهندس متخصص في الالكتـــرونيات..فـــبدا العـــالم بين يديهم من أقمار روسية وعربية وأوروبية فكان بمثابة "الفاسوخة" في الحي الذي يقطنه.

دعـــا "فـــريد" لـــيلا لتـــناول العشاء معه ومشاهدة هذا الاختراع الجديد..قابلته "ضحى" بترحاب بالغ فهي تميل إليه دون شقيقيه وقد لاحظ نظراتها التي يفهمها وقال في نفسه "والله كلكم حريم عاوزين الحرق الله يكون عونك يا همام انت وتمام الله يرحمه".

لاحـــظ ان أختها تتحرك في البيت بحرية كاملة وتذكر ذلك البيت الـــذي كـــان خاص بأبناء العم فشعر أنه غريبا في ذلك المترل حتى شقيقه "منير" أصبح يدور في فلكهم وكأنه شخص منهم.



تقابل معه في الزقازيق بالصدفة..أصبح فمه خاليا من الأسنان..وجهه أصبح " مطبق" كمن سارت عليه سيارة نقل..حزن ظاهر عليه..اغرورقت الدموع في عينيه عندما رآه وقال:-

- وانت كمان ياسيد.
- ما تقولي يا كوكا أحسن

ثم قال في حزن وكأن الكلمات تخرج من أحشائه ممزقة:-

- كوكا بنت فواكه..أظن أول مرة تسمع الاسم ده..أنا شوفتها في آخر أيامها..كان وشها جميل..وكل ما تشوفني تعيط وتقول يا طول أيامك ولياليك يا سيد..يا ريتك كنت بنت وماكنتش ولد لكن نصيبك يا ابني.

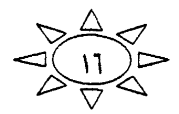
اندهش لما يقول..فأفاض وقال أنه تقابل مع سيدة في شارع "كلوت بك"..تجاوز عمرها المائة عام..كانت تسأل عن واحدة من الذين يعملون معه..سألته عن اسم أمه فقال اسمها..ثم نظرت إلى

"الحسنة" الموجودة فوق عينه اليسرى..سألته عن "فواكه" وبمجرد نطقها الاسم شعر بتوتر وقال لها أنها جدته..فظلت تضحك وتقهقه وقالت..حبيبة "إبراهيم الغَرَبي"..ملك المملكة في "كلوت بك" و"عشش معروف" وحكت له تاريخا طويلا عن جدته فواكه وأمها "بنورة" التي خطفها "إبراهيم الغَرَبي" عرف منها أن هذا الرجل "الغَرَبي" كان أشهر القوادين في بداية القرن العشرين..كان ملكا عن حق..فله قوانينه داخل مملكة الدعارة..يحكم بالسجن والإعدام على من يغضب عليها من الداعرات.

بالمصادفة كان "فريد" قد قرأ عن ذلك العالم وعن ذلك الرجل وكان يعتقد أنه أسطورة..ولكن كلامه أكد أن ما قرأه كان واقعيا..في زمن انتشر فيه البغاء في مصر منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر حتى صدور قانون تحريم البغاء في عام ١٩٤٩ أي في السنة التي ولد فيها "فريد"..عالم غريب ومريب..تلك السيدة التي تحكي عن فترة سوداء في ظل حياة المصريين أنهم أصلا من الغجر وقبائل الغزاة..وعرف أن لفظ غازية لا يعني راقصة بل يعني أنها من قبيلة الغزاه.

ثم أردف وقال أن السيدة العجوز أخبرته أنه ما أحب سوى "فواكه" ابـــنة "بـــنورة" وكـــان في ســـبيله للـــزواج منها وما حال دون ذلك..القبض عليه ومحاكمته في سنة ١٩٢٣ وتأكد لديه أن الأسرة من بدايتها النسائية من مجتمع البغاء والداعرات..ظلت سلسة متصلة الحلقـــات لذلك لم يفكر في أن ينجب وأن تنتهي سيرة هذه الأسرة عنده..قال في حسرة:-

وأنا بأقول ان أمي هي اللي ظلمتني..لكن العرق دساس ودس في نفســـي..عمـــري ما ندمت على اللي كنت باعمله..كنت باعتبر المهنة أو الصفة اللي ورثتها عن أم وجدة وأعراف وأجداد وقوانين.



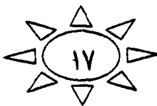
علم أن صديقه "حبيب" أتى من الخارج لزيارة أخوته فذهب لزيارته في حـــيهم القديم الذي أصبح حيا غريبا في المدينة البسيطة الصغيرة المتواضعة..أبراج شاهقة فخمة..وفيلات لم ير مثيلها في أفخم أحياء القاهـــرة..عرف أن أغلب ملاكها أتوا من أرياف الزقازيق..عرف

أسمـــاء بعـــض مـــنهم كانـــوا معه في المدرسة الابتدائية والإعدادية والثانوية..كانوا أفقر التلاميذ..يأتون من قراهم القريبة من الزقازيق ســـيرا علـــى الأقدام وقد حملت أحذيتهم بطبقات من الطين..رائحة عرقهم لا تطاق..أجسادهم صفراء من سوء التغذية..ردت الدموية في وجـــوههم..سافروا إلى الخارج أثناء هوجة السفر في الثمانينات ونهايـــة السبعينات..ربطوا الأحزمة على بطونهم حتى عادوا محملين بقناطير الذهب وأصبحوا الآن سادة القوم.

ذهب إلى "حبيب" وقابله بحرارة وخرجا سويا في أماكن اعتادوا أن يطوفـــوا بها منذ صغرهم ..كبستان الأطفال وجنينة الليمون ووابور الـــنور..وتصـــادف اليوم التالي لزيارته شم النسيم..ثاني أيام العيد الكـــبير عـــند المســـيحيين فبات ليلة عند شقيقه "سمير" وابن عمه "بســـام"فتعجب لوجود "وسام" ابن "منير" عندهم وقد لاحظ تعلق عيناه بـــ "زينات" قريبة زوجة "بسام" فشعر أن في الأمر شيء لكنه لم يعلق.

في اللـــيل أعدت "نجاح" زوجة "سمير" النعناع والبصل لتضعه تحت رؤوســـهم أثناء نومهم كما كانت تفعل أمه وأعدت "ابتسام" زوجة

البـــيض وتفننت في تلوينه..وكما كانوا يفعلون سابقا خرجو جميعهم في ســـيارتي "بســـام" و"سمير" فجرا إلى وابور النور وجنينة الليمون ففـــرت الدمـــوع من عينيه على زمن ولى وأسند رأسه على شجرة وظل يستدعي الذكريات وذلك الزمن الجميل عندما كان يتوسطهم العـــم "وســـام" ببدلته " الشركستين" لبنية اللون وحذائه الإنجليزي المكون من اللونين الأبيض والأسود.



الشقيقة "وسام" أنجبت ولد أسمته "فريد"..سافر الجميع للتهنئة على دفعـــتين..الدفعـــة الأولى تـــوجه "فريد" و"همام" وزوجته..و"منير" وزوجـــته وقـــام "همـــام" بإعطاء الشقيقة "وسام" مبلغ ألفي جنيها "نقـــوط" المولـــود مما رفع من معنوياتها أمام زوجها وسافروا بعد أن أدوا واجب التهنئة جميعا دون "فريد" الذي بقى بصحبة أخته.

في الـــيوم الـــتالي توجهت الدفعة الثانية المكونة من "سمير" وزوجته و"بســـام" وزوجته وطفلهما نشأت الذي ظل يقبل في المولود فقال "بسام" متفاخرا:-

● ده ابن عمتك يا نشأت شرقاوي أصيل

فرد "كمال" زوج "وسام" وقال مازحا:-

● لأ ده أبو العربي..بورسعيدي أصيل.

ثم سافروا جميعا ومعهم "فريد" بعد أن قاموا بالتهنئة وعمل الواجب تجاه "وسام".

۱۸

تخرج "وسام" ابن "منير" من كليته بعد أن تعثر أعواما عديدة..فرحت أمه وقالت له:-

● آن الأوان عشان تتزرع في مؤسسة عمك همام بدل محسن ابن ضحى وجوز اميمة اللي برطعوا فيها:-

نظر إليها في اعتراض قائلا:-

● أنا هاشتغل مع عمي سمير وعمي بسام في الزقازيق.

صرخت في وجهه وقالت:-

● أنا عارفة اللي في دماغك..بس وحياة أمك وأبوك ما هيحصل اللي بتفكر فيه طول ما أنا عايشة.

ضرب بكلامها عرض الحائط وسافر إلى الزقازيق ليخبر "زينات" التي فـرحت فـرحا شديدا ثم عرض على عمه "سمير" وعمه "بسام" أن يعمل معهم فالتزما الصمت ثم قالا:-

المهم أبوك يوافق يا وسام

أنا مش صغير عشان استنى موافقة أبويا..أنا مش قاصر.

نظـروا إليه في اعتراض وشعروا أنه سيكون سببا للمشاكل والخلافات بيـنهما وبين "منير" وزوجته ثم عادا وصمما أن يأخذ موافقة والده ووالدته.

١٩

ذهبا سويا إلى طابا وفي طريقهما أشار لهما صاحب سيارة بالتوقف فـتوقف "همـام" ونـزل مـن السيارة وتبعته "ضحى"..طلب منه "كـوريك" لتغيير إطار السيارة فأخذه وساعده في تركيب الإطار ثم سمعـت "ضـحى" صوتا ينبعث من داخل السيارة فجرى صاحب السـيارة ورفـع سماعـة التليفون الداخلي للسيارة وأجاب المتصل قائلا:-

خلاص يا مسعود ربنا رزقنا بواحد ابن حلال وانحلت.

ثم وضع السماعة و"ضحى" مازالت تنظر إلى التليفون فلاحظ الرجل وقال:-

● ده تليفون لاسلكي مركبه من السنترال وثمنه معقول.

● معقول..الدنيا بتطور بسرعة.

ثم نادت "همام" ليشاهد هذا التليفون فعرض الرجل عليهما الاتصال بأي شخص يريدان الاتصال به فخطفت "ضحى" السماعة وطلبت ابـــنها فكـــان صوته واضحا وأبلغته رسالتها ثم أعادت السماعة إلى موضعها..عرفهما الرجل بنفسه قائلا:-

● محمد الإمبابي..رجل أعمال وليا مشروعات سياحية في سينا.

ففتحت "ضحى" فمها وقالت-

● ياه..هي المشروعات السياحية وصلت لسينا

قال الرجل في تأكيد:-

● هـــي ابتدت في العريش وامتدت لحد ما وصلت لسينا الجنوبية..هي المستقبل.

ثم أخرج الرجل كارتا من جيبه وأعطاه لـــ"همام" فخطفته "ضحى" من يده وقالت:-

إحنا إتشرفنا يا محمد بيه..ضروري نتقابل في مصر.

انشاء الله.

ثم انصرف الرجل بسيارته بعد أن صافحهما..وراحت "ضحى" تسرح وتفكر فلامها "همام" قائلا:-

إنتي إزاي تآخدي الكارت منه..هنستفاد إيه لما نعرف واحد زي ده.

قالت في اعتراض:-

هنستفاد..ده احنا هنستفاد وهنستفاد..من جاور السعيد يسعد..وإلا إنت عاوز تفضل طول عمرك صاحب كام محل.

نظر إليها في إعتراض وقال:-

مستورة والحمد لله..إحنا هنعوز إيه أكتر من كدة.

قالت في إعتراض:-

كلمة مستورة وكلمة ستر ما بيقولهاش إلا الناس المتواكلين اللي ماعندهاش طموح..إحنا بنعيش مرة واحدة يا همام..يا نعيشها صح يا قلتها أحسن.

ظل ينظر إليها تائها..ثم ركبا سيارتهما وقالت في تمني:-

● يا سلام يا همام لما نرجع مصر وتركب تليفون زي اللي شوفناه..ده حلم الواحد ما حلمهوش قبل كدة.

فانطلق بالسيارة دون تعليق.

٢٠

مـــا أن عـــادا الى مصر حتى أقنعته بتركيب تليفون بالسيارة..كلفه الأمـــر ما يزيد عن عشرة آلاف جنيها..ثم اتصلت بـــ" محمد إمبابي" ودعـــته علـــى العشاء هو و زوجته..فوجئ "همام" بتصرفها لكنه لم يستطع ردها عما فعلت.

أحضـــرت العشـــاء من أفخم الفنادق وأعدت سفرة متميزة وبدأ التعارف بينهما..وكانت أختها وزوجها "منير" ينظران في حسرة لما وصلت له "ضحى" من مكانة اجتماعية مرموقة وهما ليسا الا تروس صغيرة تدور في ماكينات "ضحى" و"همام".

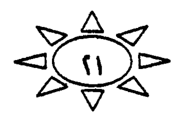
دعت زوجة "محمد الامابي" "همام" و"ضحى" في النادي المشتركون به ويدعـــى نادي "الصفوة" مما حفز "ضحى" للاشتراك في هذا النادي الذي يضم علية القوم لكن "همام" اعترض في بادئ الأمر عندما علم أن الإشـــتراك الســـنوي يـــتعدى المائـــة ألف جنيه لكنه رضخ في

النهاية..فأصطحبته إلى النادي بعد أن أعدت له ملابس رياضية أنيقة لـتعلمه إحـدى الألعـاب الرياضـية الـراقية..كالسكواش أو الجولف..فراح يفكر في بدايته المتواضعة في الزقازيق والأيام السوداء الـتي قضاها في فترة تجنيده..لم يتخيل أن الأيام تخبئ له تلك الحياة الرحبة.

وجلست مع "محمد الإمبابي" وزوجته وعرفت أن أراض في الساحل الشمالي ستباع بأسعار خيالية لبناء فيلات وأن زوجها يقوم بتقسيم تلك الأراضي وبنائها وبيعها وتسليمها في فترة زمنية قلية.

كعادتهـا ألحـت على "همام" لشراء أرض وبناء فيلا تليق بوضعهم الاجتماعـي..وقـد ساعدهما زوج أختها "أميمة" في الحصول على قـرض من البنك الذي يعمل به وقدم لهم تسهيلات كبيرة في سداد قيمة القرض.

لم يمر عام إلا وقد ملكا فيلا في الساحل الشمالي الذي بدأ يتجه اليه علية القوم لتكوين تجمع راق جديد.



ذهب إلى فريد في الجريدة وطلب منه أن يصطحبه في مشوار..دهش

"فريد" وسأله قائلا:-

● على فين يا ابن عمي.

● على المتعة اللي مش هاحس بيها الا وأنت معايا

ضحك "فريد" وقال:-

● طول عمرك غريب الأطوار يا همام يا ابن عمي

ضحك "همام" وقال:-

● أطـــوار جمع طور..زي ما كانت أم نعناعة بتنادي على الجميز وتقول..اربع تور بقرش.

ترك "فريد" ما في يده ونهض وتبعه حتى نزلا من مقر الجريدة وتوجها إلى سيارة "همام" وركبا..ثم قال "همام.

● هتوصل لحد بيتكم تجيب لك بيجامة وغيارين.

● ليه إحنا هنروح فين.

● في دنـــيا تانية يا فريد يا ابن عمي..إحنا في شهر عشرة والجو هناك هيبقى خرافة.

ثم رفع سماعة التليفون الداخلي للسيارة وأبلغ زوجته أنه سيسافر في عمـــل لمـــدة يومين..بعدها انطلق الى بيت "فريد" الذي أعد حقيبته

على وجه السرعة..وضع بها بيجامة وبعض الغيارات.

سـارت السـيارة كالطائـرة في طـريق مصـر الإسـكندرية الصـحراوي..وراح "فـريد" ينظـر إلى الطـريق يمينا ويسارا في ذهـول..القصور والفيلات التي تفوق الخيال على الجانب الأيمن من الطـريق..وأراض تزرع على الجانب الأيسر في صحراء ممتدة بطول الطريق وبعمق لا تلمحه العين..وما أن وصلا إلى الإسكندرية..توقف "همـام" بالسـيارة أمام سوبر ماركت فخم واشترى بعض المعلبات وأكـياس الخبز وما يلزم لقضاء ليلتين..ثم انطلقا في طريق الساحل الشمالي.

وصلا إلى "مارينا" فانبهر "فريد" بذلك المكان الذي يبدو كجنة الله على الأرض وقال:—

- أنـا اسمـع عن الأماكن دي لكن ما كنتش أظن انها بالجمال ده.
- دي مستقبل مصر يا فريد يا ابن عمي.
- أهو مستقبل؟!..مستقبل المتعة والرفاهية اللي عمرنا ما شوفناها ولا سمعنا عنها حتى أيام الملك.
- انسى بقى يا أخي..ما يبقاش تفكيرك زي الشيوعين

هـزته الكلمـة وذكرته بمقولة أستاذه أثناء رحلتهم إلى الإسكندرية بقصـر المنتـزه وهو في المرحلة الثانوية "هو انت شيوعي يا واد يا "فريد".

دخلوا إلى الفيلا التي بنيت على أحدث طراز..لفت نظره رجل تجاوز الستين من عمره يقوم بغرس زهور ويرويها في حديقة الفيلا..وقف ينظر إليه طويلا فبادره "همام" قائلا:-

- ده عمـك سنطاوي الجنايني اللي كان بيسقى الجناين اللـي قـدام سينما مصر..اللي كان بيمنعنا نلعب في الجنينة ساعة ما يكون بيرشها.

نظر إليه "فريد" مدققاً وقال:-

- وده إيه اللي له عليك يا همام.
- أنـا اللـي اتلمـيت علـيه..كـنت في الزقازيق من أسبوع..رحت خطفت رجلي أراجع الذكريات ..لاقيته لسـة بيرش الجنينة ولا كأن الزمن مشي..عرضت عليه يشتغل جنايني في الفيلا بتلتميت جنيه في الشهر..وافق على طول..أصله كان باقي له شهر على المعاش.

دخل "فريد إلى الفيلا فدهش من أناقة فرشها وقال:-

● طبعا دي فكرة مراتك وذوقها.

● أيـــوة يا سيدي..بالرغم من عيوبها اللي اكتشفتها فيها مــن العشرة..إلا انها بتفكر صح..بتفكر تتمتع بالدنيا صح..عندها ردار بيلقط كل حاجة حلوة وتعرض عليا وانا ادفع على طول.

نظر إليه "فريد" شاردا..فهزه بيده وقال:-

● روحت فيت يا فريد.

● روحت الزقازيق سنة ١٩٦١..في العيد الكبير لما انت أجرت حصان بخمسين قرش والحصان جري بيك وكان هيوقعك.

هرش "همام" رأسه وقال:-

● وايه اللي فكرك بالحكاية دي.

● اللـــي فكـــرني انك لسة راكب الحصان بيجري بيك وخايف....

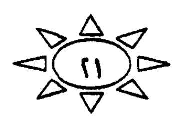
● إيـــه خايف ليوقعني..وايه يعني لما اقع..لا عندي عيل وتيل..القرشين هيروحو لأخواتي وجزء منهم لمراتي..يالا قوم ناكل لقمة.

قبل الغروب بنصف ساعة خرجا الى الشاطئ..السماء كانت ملبدة بغـــيوم بيضـــاء..غيوم صيفية وسرعات ما تحولت إلى غيوم خريفية قاتمة..وتحولت مياه البحر بالوانها الخلابة المتعددة والمتدرجة من اللون اللون الأزرق الى اللبني حتى صارت كلها سوداء.

نظر "همام" إلى "فريد" وقال:-

- مـــش عاوز تنزل المينة والا انت متعود على ترعة راس التعبان
- وترعة أم عدس وبحر مويس
- يالا يا فريد اقلع هدومك
- من غير مايوهات يا همام
- هنعوم زي عوم الترع بهدومنا الداخلية يا ابن عمي
- بـــس حد يشوفنا..انت ناسي ان احنا في ارقى مصايف مصر
- ماحدش شايفنا يا فريد..اتوكل على الله.

خلعـــا ملابســـهما والقـــياها على الشاطئ ونزلا البحر بملابسهما الداخلية وراحا يمرحان ويتذكران لهوهما في مياه ترع الزقازيق.



عادا مساء اليوم التالي..وضع "همام" شريط "أنت عمري لأم كلثوم" في كاسيت السيارة..انبعث الصوت يصاحبه رائحة ذلك الزمان في بداية الستينات وقال "فريد" في شجن:-

- فاد..حب الطفولة البريء.
- ده إنت كنت ميت فيها يا فريد..فاكر لما أخدت علقة بسببها.
- فاكر يا همام..وفاكر لما أخدت بتاري
- الحــب جمــيل يا فريد يا ابن عمي..بس انا عمري ما جــربته..جــربت حــب واحــد بــس..حبي لأمي وأخــواتي..أخواتي اللي كان زمانهم معانا في المتعة اللي كنا فيها
- وإيــه اللي عرفك انهم كانوا هيتمتعوا..إنت بس اللي حساس وبتفهم في العلاقات الأسرية.

وصــلا إلى القاهرة ليلا..أوصل "همام" "فريد" حتى منزله..وبمجرد وصول "فريد" إلى شقته..أمسك بورقة وقلم وبدأ يكتب ويقول:

[كــنت في جــنة الله على الأرض..جنة ناس بعينهم..بأموالهم التي بدأت تظهر وتطغي على شكل حياتنا التي كانت بسيطة..نحن نسير نحــو منحى جديد لحياتنا..الدولة تعمل جاهدة حتى تجعل المستريح أكثر راحة بدلا من السفر إلى الخارج للبحث عن المتعة والجمال..تم اكتشاف هذه المتعة في بلادنا وداخل حدودها..مكان كنت أتمنى أن يكــون لعامة الشعب لكنه للأغنياء فقط..حُرِّم على العامة..فقيرهم وأوسطهم..خصوصية البيئة الواحدة المتشابهة الأعراف والتقاليد..فئة طفــت إلى سطح المجتمع..منهم من بدأ من الصفر وكان من العامة ومــنهم من هبطت عليه الثروة من السماء..سامحني عزيزي القارئ علــى هــذا المقــال..فقد يتهمني البعض بأنني من أصحاب الفكر الشــيوعي الذي طالما اتهمت به..اعذروني مرة أخرى لأنني عشت فتــرة كانوا يسمونها الاشتراكية..اللفظ الشقيق للشيوعية باستثناء فكــرة العقــيدة الدينــية..عــندما كانت كل ثروة الشعب ملكا

للشـــعب..كانت قليلة حقا لكنها لم تخلق تلك الفوارق الفظيعة بين الطـــبقات..تـــرى إلى أيـــن نسير وسنوات قليلة لا تتعدى الثلاث ســـنوات ونعـــبر إلى القـــرن الـــواحد وعشـــرين..إمضاء رئيس التحرير..فريد وسام]

٢٢

ذهب إلى "همام" في محله صباح اليوم التالي فوجد ابن زوجته "محسن" يمسك بجهاز صغير عجيب ويعرضه على "همام" ويعرفه طريقة تشغيله وما أن رآه ظل يضحك ورحب به قائلا:-

تعالى يا فريد شوف تقليعة آخر الزمن..قال إيه موبايل وإلا محمول وإلا ابصر إيه.

أمسك "فريد" الجهاز وراح يتفحصه وقال:-

وعلم الإنسان مالم يعلم.

ولســـة ياما هنشوف..تليفون لا هو لاسلكي زي بتاع العربية ولا له أي سلك..سبحان الله.

وجه كلامه إلى "محسن" وقال:-

بكام ده يا محسن

بخمس بواكي يا عمو..غير الخط اللي بيعدي تلت اربع بواكي

ظل "همام" يضحك وقال:-

والله يا بلاش..روح خلص يا محسن وهات الخط اللي بتقول عليه ده..أمك هتفرح بيه أوي.

ثم استدار ناحية "فريد" وقال له في دهشة:-

إيه وحشتك..مع اننا كنا امبارح مع بعض

قال "فريد" مازحا:-

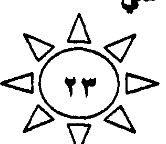
أنا جاي مخصوص عشان اسألك عرفت كلمة شيوعية منين.

ظل "همام" يضحك من قلبه وقال:-

هـــو ده اللي جابك يا ابن عمي..يا سيدي سمعتها من زبـــون كان مدرس فلسفة واستقال وقلب على التجارة في المســـتورد..ولما سألته قال أنها تخص الناس الفقرية اللي ما بيحـــبوش الـــتطور وبياكلوا في طبق واحد وبيلبسوا لبس شـــكل واحـــد وصندل من عند باتا..بيتهيالي انك كدة يا فريد..بس من غير زعل.

ظل "فريد" يضحك وقال:-

كدة يا ابن عمي



راحـــت تقلب فيه وهي فرحة وطلبت من ابنها "محسن" أن يعلمها كيفية تشغيله و"همام" يتابع فاغراً فاه كالأبله ثم قال:-

ولســـة الكام سنة اللي جايين دول هيتزلوا اختراعات هتلخبط العقل..بكرة تشوفوا اللي هتتكلموا معاه.

قال "محسن" في تلقائية:-

أكيد يا أنكل.

أكـــيد..ده مخ جان ولبس الإنسان..ألطف يا رب من الزمن اللي جاي.

قالت وهي تتعلم كيفية تشغيله:-

أن هاطلـــب مرات محمد إمبابي وبعد كدة أكلم مرات المستشار شريف.

حاولـــت مرة ومرات حتى أتت المكالمة ..كلمتهم وأخبرقم بالجهاز العجـــيب وفوجئت أن كلَ صديقاقا يملكن الجهاز منذ عدة شهور

فشعرت بالإحباط وقالت:-

هو أنا كدة أخر من يعلم..يا فرحة ما تمت.

ثم راح ابـــنها "محسن" يهمس لها فظلت تنصت إليه ثم فاتحت "همام" فـــيما عرضـــه علـــيها وأخبرته أنه في سبيله للحصول على توكيل للمحمول من الشركة الرئيسية فنظر إليها "همام" في ذهول وقال:-

وده يتكلف كام يا سي محسن.

ميت ألف جنيه يا عمو.

فقالت على الفور:-

هو معاه المبلغ.

فنظر إليها "همام" في ذهول وقال:-

معاه؟!.

قال في تأكيد:-

أيـــوة..أن كـــنت باحـــوش لــه معاش أبوه..وكمان مكافئـــته..ده غير مرتبه اللي بياخده منك كل شهر..ربنا يبارك فيك.

يعني مش عاوزين مني فلوس.

قالت في تأكيد:-

احـــنا مـــا نســـتغناش عنك أبدا..إحنا مش هنحتاج فلـــوس..كـــل اللـــي هنحتاجه فاترينة في محل الأدوات الكهربائية نعرض فيها البضاعة.

راح في تفكير عميق ثم قال:-

بس مش ميت الف جنيه كتير على انك تحوشيهم له.

تقصد ايه يا همام.

تراجع في دبلوماسية وقال:-

ولا حاجة بس الموضوع هيقطع على شغل المحلات اللي بناكل منها عيش.

قال "محسن" في تأكيد:-

مـــا تقلقـــش يـــا عمو..فيه واحد هيراعي الموضوع ده..كان معايا في الجامعة.

والتوكيل هيكون باسم منين.

باسمنا احنا الاتنين

نهض في عصبية وقال:-

يفتح الله..أنا ما اقدرش ادخل نشاط جديد..نشاط ولا هيعود عليا بابيض ولا اسود.

ارتبكت "ضحى" ومالت عليه وقالت:-

طب ما تقصر المسافة وتخش انت معاه شريك.

شـــريك لأ يا ضحى..صاحب المصلحة اه..أنا مستعد أدفع مليون مش ميت ألف ويبقى التوكيل باسمي.

حاولت استمالته مرة أخرى وقالت :-

يعني انت تكره انه يبقى له مصلحة باسمه..هو مش زي ابنك يا همام بيه.

ماحـــدش قـــال حاجة..بس الأصول ما تزعلش..أنا كرشـــت أخـــويا وابـــن عمـــي مـــن المصلحة بناء على كلامك..والا انتي نسيتي يا ست الكل..ده غير ان ابنك ما كملش تعليمه في الهندسة ورضي بالوضع ده..يعني مافيش مستقبل له الا معايا.

نظر إلى أمه وغمز لها بعينه فقالت:-

علـــى كل حال هو ابنك وانت اللي مربيه وأهو ماشي في ضلك واللي تشوف فيه مصلحة اعمله.

اهم حاجة انه يفضل في ضلي والمشروع هيتعمل باسمي والفلـــوس اللي انتي عيناها له هتنفعه في المستقبل خليها في

البـــنك أهي هتكبر وتزيد..بدل ما يفتح على نفسه فتحة الضرايب ويخش في مشاكل ماهوش حملها وده لسة عضمة طرية.

نظـــرت إلى ابـــنها ثم نظرت إليه في غيظ فقد باءت خططها لعمل مشروع خاص لها وبابنها بالفشل.

٢٤

ذهب إليها في الجامعة..كانت تتحدث مع زميلة لها باللغة الإنجليزية في مسألة طبية..لم يفهم ماذا تقولان فشعربالضآلة أمامها وما أن لمحته جرت عليه ورحبت به:-

- ازيك يا وسام.

قال وهو مقتضب الجبين:-

- ازيك يا دكتورة زينات.
- إيه مالك يا وسام.
- أنـــا مش عارف راسي من رجلي يا زينات..أمي واقفة في طريقنا..وعمك بسام وعمي سمير هم كمان..إيه الحكاية
- أنا فاضلي سنتين ولما آخد البكالوريوس نبقى نتكلم في

في الموضوع ده.

وأنا لسة هاستنى سنتين يا زينات.

أمال انت عاوز إيه يا وسام.

عاوز..عاوز على الأقل يكون في بينا ارتباط حتى ولو بدبل.

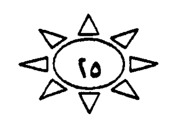
التزمت الصمت وراحت في تفكير عميق فقال:-

يعني ما ردتيش يا دكتورة.

انـــت لسة ما اشتغلتش يا وسام وأنا نفسي تعتمد على نفسك.

يعني انتي شايفة كدة..خلاص نستنى بقى لما أبقى ألاقي شغل.

تركها غاضبا فنادت عليه ولكنه لم يعرها انتباها.



دخـــل علـــيه في الجـــريدة مكفهر الوجه وما أن رآه دهش لزيارته وسأله.

خير يا علي..فيه إيه.

● السيد كوكا..تعيش انت.

● لا حول ولا قوة إلا بالله..امتى؟

● النهاردة الفجر..إبراهيم بقو بلغني وقلت آجي أقولك..ده برضه صاحب زمان..الرابع في صحوبيتنا يا فريد

لملم حاجياته وخرج معه واستقلا سيارة "علي" في طريقهما إلى الزقازيق وتوجها إلى المستشفى العام لاستلام جثته..واستأجرا عربة دفن موتى وتوجه معهم "إبراهيم بقو" إلى مدافن "المبرز" فلم يتعرفا على مقبرة أبيه فقرر "على" دفنه في المقابر الجديدة التي بناها وكان صديقهم "السيد كوكا" أول من دفن بها.

عاد الثلاثة بعد أن دفنوه إلى بيت "علي بطة" وكانت "إلهام" قد أعدت سفرة فاخرة من الطعام فتناولوا الغداء سويا واصطحب "إبراهيم" "فريد" في سيارة "علي" حتى القاهرة.

دخل بيته ثم بكى بعد أن تحجرت الدموع في عينيه وقال في نفسه.."ارتاح من حمل العار اللي طول عمره شايله على ضهره"..صديق من عمر الزمن..اقتطع جزء من زمن ماض وجزء من زمن حاضر ومستقبل لا يعلمه إلا الله.

طفولته البريئة مع طفولتهم المتشردة التي لا تخلو من نقص وقلة حيلة وحرمان..استطاعوا أن يحققوا الكثير ليعوضوا ذلك الحرمان ..كنت آكل وهم لا يأكلون..اليوم هم يأكلون ما لذ وطاب وأنا آكل على قدر إمكانياتي المادية..المادة تحول مسارها مني إليهم ولكنهم مازالوا يشعرون بالدونية

٢٦

ذهـــب إلى محـــل "همام" وقد بدا وجهه مكفهرا وما أن رآه تغيرت ملامح وجهه وقال:-

- إيه اللي حصل يا ابن عمي مين مات في العيلة.

جلس "فريد" بجواره وتنهد وقال:-

- ما تخافش مش حد في العيلة..من شلة الصعاليك.
- مين فيهم..على الله يكون علي بطة
- لأ..سيد كوكا.
- ربنا يرحمه..ما كانش عارف يهرب في الدنيا من سيرة أمه وخالته..أهو هرب للآخرة.

دامت لحظة صمت بينهما وقال "همام" في دهشة:-

● معقول متأثر أوي للدرجة دي..ده انت غريب أوي يا ابـــن عمـــي..دي كانـــت اوحـــش حاجة فيك معرفتك بالصـــعاليك الـــتلاتة..أنـــا الحمـــد لله مـــا كـــانش ليا أصـــحاب..قـــوم..قوم اما افرجك على الفرع التاني بتاع الموبيلات.

ابتسم "فريد" وقال:-

● دايما محتكر كل تكنولوجيا جديدة.

● دي فكرة الواد ابن مراتي..واد مخه إيه..بريمو..ابن أمه صحيح

نهض "فريد" معه وتجول في المحل وقال "همام":-

● الواد كان عاوز ياخد السبوبة دي لوحده..صحيح أنا مـــش محـــتاج لهـــا..واللـــي هيجي منها لا هيزودني ولا هينقصني..بس هأشغل نفسي بايه غير التجارة والفلوس

نظر إليه "فريد" وسرح ثم قال:-

● يعني انت سعيد كدة.

● لو فيه فيه حاجة تانية قدامك تسعدني دلني عليها.

● ومراتك؟!.

مـــراتي وابـــنها مافيش أأمن منهم على مالي..أكتر من أخـــواتي..صـــحيح بنت أصول..مش الداهية اللي اسمها إلهـــام..اللـــي دايما حاطة إيديها في جاكتتي وبنطلوني...أنا كنت عارف بس مطنش.

سبحان الله يا همام..انت طيب اوي.

إيه لك رأي في مراتي والا ايه.

أبدا..بس انا حاسس ان كل شقاك....

رايح يا فريد..هي بتلبس وبتلبسني أحسن لبس وتاكل وتـــأكلني أحســـن أكـــل..وتتفســـح وتفســـحني أحلى فسحة..وانت راجل ولك رأي وخبرة في الحريم..وهي زي الفـــل..مـــا تنامش جانبي الا وهي لابسة أحسن وأنضف هدوم وحاطة أجمل ريحة.

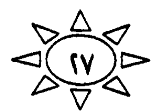
ظل "فريد" ينظر إليه وسرح فباغته "همام" قائلا:-

إيـــه بقـــى اللـــي انـــا عـــاوزه أكتر من كدة يا ابن عمي..هاحوش الفلوس لمين..لبسام ومراته ابتسام..مصيرهم ياخدوا حقهم الشرعي في المحل لما الحق ياخد حقه.

ربنا يديك الصحة وطولة العمر يا همام يا ابن عمي.

ظل يضحك ويقهقه وقال:-

● والله انـــت بقيت صورة من عمك وسام..قعد مضرب عن الجواز ولما جه يتجوز..اتجوز امي وامك في نفس واحد.



اجتمعوا على السفرة كعادتهم اليومية لتناول وجبة الغداء في الرابعة مســاءً..المــيعاد الــذي حددتــه "ضـــحى" والطعام الذي تختاره "ضـــحى"..يجلس "همام" على رأس المائدة وبجواره "ضحى" وابنها "محســـن" وفي الواجهة "منير" وزوجته وابنهما "وسام" وفي المنتصف "أميمة" وزوجها حديث كل يوم الرتيب وأسئلة "همام" التي لا تتغير واقتراحات زوج "أميمة" ويجيب"منير" قائلا:-

● شـــحنة التلاجات الأخيرة مستوفية العقود والشروط القانونية.

يقول زوج "أميمة":-

● وامـــبارح اتفقنا على توريد كل شحنة التلاجات لقرية سياحية في الغردقة

يقول "محسن":-

بالنسبة للموبيلات اتفقنا مع شركة المحروسة الخاصة على توريد خمسين عدة لرؤساء الأقسام ومديري الإدارات على خمس أقساط:-

فيقول "همام":-

عال عال..ربنا يزيد ويبارك.

تبدو الفرحة على وجه "ضحى" والوجوم على وجه أختها وزوجها "منير" الذي ينهض من أمام المائدة ويدخل حجرته وهو ينفخ فتلحق به زوجته التي تلومه وتقول له:-

انت قمت من على الأكل ليه.

شبعت..شبعت من كل حاجة وجعان لكل حاجة.

مالك يا منير

يعني مش عارفة مالي..كلنا دايرين في فلك همام بيه وضحى هانم..أختك..الوقت الي بتحدده للغدا ونوعية الأكل..وقعدتي في البيت طول النهار لا شغلة ولا مشغلة وبالليل اقعد أقلب في ورق شرا وبيع همام باشا.

نظـــرت إلـــيه وصمتت..هي الأخرى لم تعد توافق على هذا الوضع أصبحت هي وزوجها حبيسان لذلك القصر..كل الأمور بيد أختها "ضحى"..أختها "أميمة" منقادة لها..زوجها يضمن وظيفته وراتبه في البـــنك ووظـــيفة عـــند "همـــام"..يتقاضـــى ثلاثة آلاف جنيها في الشهر..و"منير" يتقاضى نصف راتبه..الصغير "محسن" يتقاضى أيضا ثلاثـــة آلاف جنـــيها لا يصرف منها مليما واحدا..يأكل ويشرب ويشتري ملابسه عن طريق أمه التي تكتز له أموال معاش أبيه وراتبه الـــذي يحضـــره لهـــا كـــل أول شهر طواعية..الها العقل المدبر له وللجمـــيع..فكـــرت أن تحـــدث أختها بشأن راتب "منير" ولكنها خشـــيت أن تصـــدها..على الرغم من ألها الأخت الصغرى إلا الها أصبحت ربة البيت كله..كبيره وصغيره..كانت تصحبها هي و"منير" في رحلاتها ثم قصرتها بعد ذلك عليها وعلى زوجها فقط.

راح ينظر إليها وهي تائهة وتفكر وقال:-

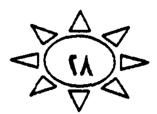
روحتي فين يا أم وسام.

هـــاروح فين..ما اقدرش أروح أكتر من هنا..الست "ضـــحى" وأنا و"أميمة" ننفذ..نطبخ ونغسل..حتى الواد اللي حيلتنا هايم على وشه لا شغلة ولا مشغلة.

● يعني انق معايا.

● معـــاك بـــس ايه العمل..لو كنت لسة في شغلك كان زمانـــك بتتـــنقل من بلد لبلد..ومرتبك لما يضربه الدم ما يـــوكلش عـــيش حاف وابنك بياخد مصروفه لحد دلوقتي تلتميت جنيه كل شهر..عندك بديل يا سير منير.

نظر إليها وصمت ووضع رأسه بين يديه وظل ينفخ.



ذهـــبت معهـــا إلى البـــندر بالزقازيق لتشتري لها ملابس استعدادا للدراســـة وللعـــام الجديـــد بالكلية..لاحظت التغيير الذي يعتريها فقالت:-

● شـــوفي يـــا زينات..اللي في دماغك ده تنسيه..بصي لدراستك هي اللي هتنفعك..أنا لو جرالي حاجة هتبقى برة البـــيت..ولاد وسام قواي..سواء بسام جوزي او سمير ابن عمه.

نظـــرت إلـــيها "زيـــنات" في دهشـــة..هذا الكلام تسمعه للمرة الأولى..كانـــت تظـــن ان السعادة ترفرف على حياتها هي وزوجها

وابنها نشأت..فقالت لها:-

ماتستغربيش..الأوض لما بتتقفل على الراجل والست بيظهر المستخبي..القرف والزهق..كل ما بنكبر كل ما بنبعد عن بعض..والواد وسام ابن منير صورة منهم..ده لو حصل..واظن ان عمره ما هيحصل..هيوريكي المرار..باقولك دول عيلة قواي..مافيهمش غير فريد.

قالت في ذهول:-

بس عمو سمير راجل طيب وبيقدرك.

ماحدش قال حاجة..لكن مراته نجاح عقربة..العمة هتفضل عمة..مهما طال الزمن..ده غير قعدة حساب آخر النهار بين بسام وسمير على الإيرادات وعلى طريقة الشغل في الورشة..وعلى قد ما انا باكره همام..لكن كان شاكمهم كلهم.

شعرت بالخوف من كلام "ابتسام" شعرت انها تعيش عالة عليها وعلى زوجها..عليها ان تسرع الخطى لتخرج من دائرة قد تدور بها الى الخلف وتفقدها ما تحلم به..حقا ان "بسام" يعاملها معاملة طيبة ويحرص على إرضائها بل انه يختار لها ملابسها احيانا عندما يذهب

عندما يذهب الى الزقازيق..هل بدأت "ابتسام" تشعر بالغيرة منها؟!.

٢٩

خـــرجت "أحـــلام" مـــن الســـجن..لم يـــزرها أحدا طوال فترة السـجن..أبـوها مات متأثرا بما اقترفته بعد ان ترك بيته ليعيش مع اخته الأرملة..لم ينتظرها أحد بباب السجن.. كانت تحمل معها مبلغا ادخرته نظير عملها بالتفصيل والتطريز بالسجن..كل شيء تغير أمام عينـــيها..دخلـــت في بدايـــة الثمانيـــنات وخـــرجت في نهايـــة التسعينات..جرت على محطة القطار المتجه الى الزقازيق..كانت على يقـــين أن والـــدها قد مات..ذهبت إلى بيتهم فوجدته قد أزيل وبُنِيَ مكانـــه فرن..لا تعرف أحد سوى عمتها..تقطن بيت صغير في كفر النحال..فاستقلت سيارة أجرة وطارت إلى هناك.

العمـــة مازالت على قيد الحياة..لكنها تجاوزت الثمانين من عمرها ويخـــدمها جيرانها..فرحت بها العمة على عكس ما توقعت وقابلتها بترحاب بالغ وراحت كل منهما تحضن الأخرى وتبكي..ثم ارتدت ملابس تظهر مفاتنها وجمالها .

بحـــثت عـــن إلهام وعثرت على مكانها فذهبت اليها في محل زوجها

فقابلـــتها بفتور وحاولت ألا تطيل معها الجلسة فقالت لها في لغة لا تخلو من التهديد:-

● هـــو انـــتي تخرجي من عز لعز وأنا أروح في الكازوزة ..بقيت رد سجون.

خافت منها "أحلام" وقالت في تودد:-

● ما هو انتي اللي جبتيه لنفسك يا أحلام.

● ما هو ده اللي يفرق بيني وبينك يا أحلام..قلبي..قلبي الضـــعيف اللي دور على الحب..إنما انتي حاطة على قلبك طـــوبة..مـــا يهمكيش الا راجل يصرف بس وأهو حالك برضة كان أحسن من حالي.

أخرجت من صدرها مبلغ كبير وناولتها إياه فردت يدها وقالت:-

● ما يلزمنيش يا اختي..أنا مش طمعانة الا في أكلة تسد الـــبطن..أنا اتعودت على أكل السجن اللي لا يسري ولا يمري.

مرت لحظة من الصمت بينهما ثم سألتها "إلهام" في لهجة لا تخلو من الحدة:-

● أمال انتي ابن جاية ليه..ناوية تخربي عليا تاني

لا يـــا بـــنت حتتـــنا وعمرنا الصغي روعمرنا الصغير وحلمـــنا الأصـــغر..أنـــا كـــنت جايـــة أشوفك واطمن عليكي..انتي اللي باقية لي من زمن السجن قطعه أكتر من ستاشر سنة قضيتهم ميتة وأنا عايشة.

واثـــناء حديـــثهما دخل عليهما "إبراهيم" فظل ينظر إليها وعندما تذكرها صافحها في حرارة وقال:-

والله زمان يا سنيورة حتتنا.

عدلت من هندامها وراحت توضب شعرها بيدها وقالت:-

والله فيك الخير يا بقو.

قال معاتبا:-

انتي لسة فاكرة الاسم ده.

شعرت "إلهام" بقلق من طريقته معها فنهضت "أحلام" وقالت:-

بالإذن..أصلي اتأخرت على عمتي..لكن لينا زيارة تانية

فجـــرى "إبراهيم" إلى السيارة وفتح لها باب السيارة الخلفي وأشار إلـــيها بالركوب..ففتحت الباب الأمامي وجلست على المقعد الذي يجاوره وقالت:_

بس مشواري صعب وبعيد يا ابراهيم.

وأنا معاكي انشالله لحد ليبيا

نظـــرت إلـــيها "إلهـــام" في ضـــيق وقالت في نفسها "طول عمرك بجحة"..وانطلقت السيارة بسرعة فقالت له "أحلام":-

انت ماشي على قشر بيض يا ابراهيم

ياريـــت..أنا مش عاوز أوصل بسرعة..ليكي وحشة يا احلام زمان يا اجمل بنات قسم النظام كله.

ظلت تضحك وقالت له في لؤم:-

انت اتأهلت والا لسة.

قصدك اتنيلت..أخت علي بطة.

مين فيهم.

أطة.

اللي كانت بتحلق زلبطة وأمها تدهن لها راسها بالشطة أهو كله نصيب يا ابراهيم.

نصيب مهبب يا أحلام..يا حلم زمان.

الله..ما تخف يا راجل..ده انت على ذمتك ولية.

الرحمة يا احلام.

وايه اخبار اخواتك البنات وأمك

أمي ماتت واخواتي كل واحدة في بلد..وربنا ستار على عبيده.

وصلا إلى بيت عمتها ونزلت من السيارة وقالت:-

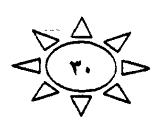
الوقت عدى بسرعة يا برهم.

يـــا ريته ما عدى..أنا..أنا عرفت العنوان وهاجي أشقر عليكي كل يوم..أشوف طلباتك.

بصفتك إيه؟.

حاليا بصفتي ابن حتتك القديمة وبعد كدة يحصل المراد من رب العباد.

ظلت تضحك في دلال ومدت يدها لتصافحه فخطف يدها وقبلها.



جلـــس أمامهـــا ووضـــع رأسه بين يديه فنظرت إليه في عدم رضا وقالت:-

واخرقا معاك يا ابن منير.

أخرقا خلاص..السفر لأمريكا.

نعم يا روح امك..انت ناسي انك الحيلة..وهتجيب

وهتجـــيب فلوس منين يا سي وسام..انت عارف التذكرة لحد أمريكا بكام ومصاريفك هناك هتبقى كام.

● أنا معايا حق التذكرة..وهانزل عند واحد صاحبي كان معايا في المدرسة في المنصورة.

نهضت من مكانها وامسك به من ملابسه وقالت:-

● المنصـــورة..واحـــد من اياهم اللي كانوا هيجرجروك لسكتهم اللي تودي وما ترجعش..لأ يا روح أمك انسى.

أبعد يديها عنه ووقف متأهبا وقال:-

● لأ انـــتم اللـــي تنســـوا..أنا ماليش مستقبل في البلد دي..انـــتي فاهمة..ومش هاقعد طول عمري آخد مصروفي من أبويا اللي الله اعلم اذا كان حلال والا حرام.

● اخرس قطع لسانك..يا ريتك تحصل ربع أبوك.

جرى من أمامها وقال:-

● انـــا كـــنت جـــاي اسلم عليكم..لكن انا غلطان اني قلتلكم..أنا مسافر بعد بكرة.

ظلت تلطم وجهها فجاءت كل من "ضحى" و"أميمة" ليتحريا الأمر ولكنها سقطت مغشيا عليها بين يديهما.

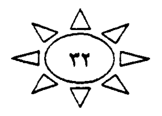
في عـــناد وإصرار..ترك "وسام" أباه وأمه وذهب إلى أحد أصدقائه وبـــات عنده ليلته بعد أن حزم حقيبته وتوجه إلى المطار تاركا الهم والحـــزن لـــوالديه..لا يشغله سوى مستقبل مجهول بعد أن تحجرت مشـــاعره تجـــاه الجمـــيع..فهو يكرههم جميعا..أمه وأبوه وخالاته وأعمامه..خاصة "همام" و"زينات" التي تحولت مشاعر الحب تجاهها إلى كراهية وحقد بغيض.

٣١

راح يمسك بقلمه ويستعد لكتابه مقالاته بمناسبة العام الجديد ..الرقم الغـــريب الذي لم يتوقع يوما انه سيعيشه..١٩٩٩..هذا الرقم الذي تتكـــرر فـــيه أعداد ثلاثة كل مائة عام..١٨٨٨..١٧٧٧..وتتوالى الأرقـــام الـــثلاثة المتشـــابهة لـــتؤكد أحـــداث مرت على مدى الـــزمن..الـــزمن الذي يقهر ولا يُقهر..وقد تغيرت مصر..تنازعت فـــيها القوى السياسية والحركات المناهضة للحكومة..والألسنة التي بـــدأت تتكلم في صراحة ..تجاوزت الخطوط الحمراء..مرحلة تقبل علـــيها مصر من أخطر المراحل التي مرت عليها..وبدأت الرأسمالية تسيطر على أدوات الإنتاج في مجتمع عاصر فترة الاشتراكية التي هي

العـــدو الأول للرأس المال الخاص..الحوادث الإرهابية المتلاحقة في شارع الهرم والمتحف المصري نهاية بحادث الأقصر البشع ..التحدي الســـافر للأمن..عدم الشعور بالأمان..فقد تكون أحد المارة في أحد المــيادين وتكـــون ضحية لتطرف..ليس لك فيه ذنب..في إحصائية عـــدد القتلـــى في الحوادث الإرهابية كبير لأناس لا حول لهم ولا قوة..لا فكرا مناهضا أو متوافقا مع الدولة..اناس يعيشون في حالهم لا يرجون الا بزوغ شمس يوم جديد لتبدأ حياتهم مع معاناة يومية في كل شيء..دخولهم لا تفي بالحد الأدنى لمتطلبات المعيشة التي تحدت دخولهم الضئيلة..يعيشون بلا هدف ولا طموح سوى الحصول على رغيف العيش المدعم..المتواضع..الذي يشبع البطون..لا يسمن لكنه قـــد يشـــبع جـــوعهم..إلى أيـــن نحـــن نســـير..مـــن المؤكد إلى المجهول..المخيف..المرعب.

بالطـــبع لم يوافق رئيس مجلس إدارة الجريدة على المقال فكان عليه نشره في جريدة مستقلة أو معارضة..فآل حاله ليكون محررا بإحداها ومساعدا لرئيس التحرير.."جريدة متى يطلع النهار"



ظل يتردد على مسكنها بصفة شبه يومية..يحضر أصناف من الطعام الجاهــز والفاكهة والحلوى..وذات يوم وقفت فى مواجهته بعد أن فرغ من تناول الطعام و قالت:-

- وأخرتها يا إبراهيم .
- خير إنشاء الله يا أحلام يا حلم الأيام.
- إحنا فى حتة شعبية والناس لسانتها مبتسكتش
- أنا مستعدة أقطع أى لسان
- يبقى فى الحلال.
- ده يوم المنى يا ست الكل
- بس ليا شروط يا إبراهيم.
- أوعى تطلب منى أطلق أطه دى الرابطة اللى بينى وبين على بطة..هى سبب العز اللى أنا فيه.

راحت تنظر إليه فى لؤم وقالت:-

- مش هو ده الشرط أنا مش خرابة بيوت أنا عايزة شقة

فى القومية تعيش معايا عمق فيها

● غالى والطلب رخيص

● ومحـــل أعمله مشغل تفصيل وتطريز..حاكم أنا ناوية آكل السوق وأخترع حاجة جديدة

● من عيونى يا أحلام يا حب زمان

● طب مش تسألنى عن الاختراع

● يعنى هيكون إيه فساتين بالكهربا.

● لا إيجار..فساتين أفراح وفساتين سهرة..مشروع لسه مجاش فى دماغ حد فى كل الزقازيق.

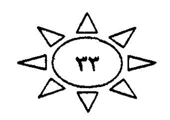
● على البركة..نكتب الكتاب امتى

● إنشاالله دلوقتى

● بس يكون فى السر

راحت تضحك من قلبها وقالت:-

● فى بير يا بقو يا آخر صبرى



ظل يلف ويدور حولها..لا يصدق أذنيه..فقال لها:-

والنبي يا ابتسام ترجعي الشريط من الأول

ايه سمعك تقل والا ايه يا معلم بسام.

معقول يا ولاد..بعد السن ده يا ابتسام.

أمر الله يا بسام.

جلس ووضع رأسه بين يديه وقال:-

ونجيب له عمر منين عشان نربيه.

يا اخويا ربنا يديك الصحة وطولة العمر..هو انت يعني عديت الستين..ده انت لسة يادوب بتلعب في الخمسينات.

نظر إليها مذهولا وقال:-

وانـــتي هتجيبي صحة منين عشان تربي عيل والا عيلة تانية.

ربنا يقدرني..إياك عشان شوية التعب اللي بيجوني كل حين ومين.

● لا يـــا ابتسام..ده انتي ما بيعديش شهر الا لما تشتكي وتدوري في ساقية الدكتور.

● قصـــدك الدكتورة..ما هي ربنا يخليها الدكتورة زينات هي اللي بتعالجني وهي اللي مراعياني.

● ربنا يخليهالك يا اختي..اقعدي بالعافية

● على فين يا بسام.

● على الطاحونة اللي شغالين فيها ليل ونهار..وسي سمير اللـــي حاطط ايده في المية الباردة..قدامنا طلبيات بالكوم ولسة ما خلصناش ربعها..الله يلعن الشرك حتى لو كان في الجنة.

راحت تنظر إليه في دهشة وتقول:-

● معقول يا سمير..بعد ما عدت الأربعين.

● أمر الله يا نجاح..سبحان الله..وبنتنا اللي....استغفر الله العظـــيم..اللـــهم لا اعتـــراض على حكمك..سبحانه يا نجـــاح..بعد ما تقعد سنين عشان تخلف نشأت وبعد سنين هتخلف تاني.

● هـــي قـــريبتها اللي تضرب في قلبها اللي اسمها زينات

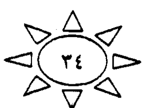
عملـــت دكتورة عليها وأديتها أبصر إيه عشان تعيده من تانى..يا عيني عليكى يا وسام يا بنتي

- طـــب ما تخليها تكشف على وسام ما هي دكتورة نسا وولادة شاطرة بيحلفوا بيها فى مستشفى الجامعة بالزقازيق.

- قطعـــت وقطـــع اللى يجى من وراها انشا الله عنها ما خلفت.

وضـــع رأسه بين يديه وراح يتمتم بآيات قرآنية و"نجاح" تدور أمامه كالـــنحلة تـــبرطم بكـــلام يغضبه ويقلب عليه المواجع فقالل ها فى عصبية:-

- أهـــدى بقـــه خيلتيني ما قلنا ده أمر الله ولا هتعترضى على حكمه يا وليه.



راح يضحك من قلبه وينظر فى غيظ وقال :-

- إيه يا عم فريد بقه أنا جاى أخد شورتك تقعد تضحك و تتريق عليا .

- مهو من منظرك رابط دماغك ومجبر دراعك و اشى

على عكاز إيه يا بنى كل ده من علقة من مراتك.

● مـــن مراتـــى و أخوتها المفترين والندل على بطة زاد وغطى وعجز لى رجلي

● مهو أنت اللي تستاهل من بعد ما رفعك فى السما عاوز تسيب أخته وتروح تجوز عليها.

● بحبها بموت فى ضوافر صوابع رجليها يا فريد.

● ومين بقه سنيورة زمانها.

صمت "إبراهيم" لحظة وراح ينظر اليه من إسفل عينيه وقال بصوت خفيض:-

● آحلام .

إنزعج عندما سمع الأسم وقال:-

● أحلام مين.؟

● مرات إبن عمك المرحوم تمام.

● يخرب بيتك..قتالة القتلة..هى طلعت من السجن.

راح ينظر إليه منكسرا ولم يعلق فقال "فريد" :-

● هـــى الدنـــيا ضاقت بيك دى تعبان و قرصته و القبر اسألنى أنا عن أحلام.

● بحبها يا أخي.

● حبك برص ودي واحدة تتحب ولا أنت تقدر عليها فى سـنك ده..دى ولا يكفيها عشر رجالة عتاولة مش واحد رفيع زيك يا سى بقو

نهض غاضبا وقال:-

● هو أنا جبتك يا عبد المعين عشان ....

● عشان ايه هات من الآخر وخلصني.

● ابن عمك همام.

● ماله.

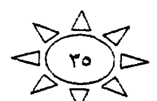
● يديني بضاعة واكتب له وصولات أمانة..عشان أرجع أقف على رجلي من تاني.

● رجلـك ولا أيدك ولا دماغك..ده آنت وقعت وقعة مالهاش قومة..قوم يالا واوعى توريني وشك تاني.

● بقى كدة يا صاحبي.

● صـحوبية الهم والشوم..كان عندك حق يا أما..شوية صعاليك ما شوفتش من وراكم الا القرف..غور من وشي واوعى تجيلي تاني حتى لو مت..انت والا الزفت اللي اسمه

علي بطة..يالا غور.



أمســـكت بالخطاب وراحت تلتهم سطوره هذه هى الرسالة الأولى مـــنذ أن تـــركهم مـــن عـــدة شـــهور..لم يعرف النوم سبيلا إلى جفـــونها..يقـــول فى خطابـــه إنـــه على ما يرام ولكن بين السطور وبإحساس الأم يختلف تماما عما ذكر يبدو أنه فى ضائقة مالية عاتبت زوجها على عدم سؤاله عنه يقول لها :-

● أنسى إنك ليكى أبن وأسمه وسام ده بعنا خلاص.

● يـــا راجـــل إيه القسوة اللى ربنا حطها فى قلبك حرام عليك يا منير.

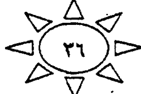
● طب إيه الحل قوليلى عليه وأنا أعمله..أسافرله أمريكا إنتى فاكرة إنها الزقازيق هنقطع شوارعها طول وعرض.

● يعنى هنسيبه وربنا يعلم بحاله.

● مهو لو كان عاوزنا نوصله كان كتب عنوانه.

● الله أعلم إذا كان له عنوان..بينام فين وبياكل إزاى.

راحت تقبل الخطاب وقد بللته دموعها و قرأته مرات و مرات فقد إنفطـــر قلبها حزنا عليه..ولدها الوحيد سندها بعد أبيه..مات وهو حيا.



أمســـك بالقلم وكتب الرقم ٢٠٠٠ رقم مقفول لا يتكرر إلا كل ألف عام رقم أثار مشكلة فى الحاسوب..مشكلة الزيرو لم يفطن إليها العلماء ليلا ونهارا يبحثون عن حل..عقل البشر لم يعجز عن اختراعه وتطويـــره حتى أصبح أداة للتسلية فى البيوت مشكلة تم حلها قبل حلـــول العـــام بفترة وجيزة كان سيترتب عن تلك المشكلة كارثة عالمـــية..ستتوقف جميع الأجهزة..هداهم الله إلى حلها وعلمهم مالا يعلمون بإذنه وبأمره وسلطانه.

دائمـــا يسأل نفس السؤال كلما كتب عن الزمن..ماذا يخبئ لنا هذا الـــرقم المقفـــول..فكلما تقدم الزمن تحدث مصائب..العلم يتحدث والجاهلـــون كثيرون..دائما يتحدثون عن الوجه السيىء الذى يحمل الشـــرور لكـــل إختراع يغير البشرية فالأقمار الصناعية التى جعلت العـــالم قرية صغيرة يستخدمونها فى التجسس على بعضهم البعض لا

يأتـــى صـــباح يوم جديد إلا وتطورت أفكار الشر..الكل يريد أن يســـيطر يريد أن يكون مكانه وحده فى العالم يستفيد بخيراته وحده ..أما المنجمون فقد انحصرت نبوءتهم منذ خمسين سنة أن العالم سيفنى عـــام ألفين..هل ستتحقق نبوءتهم؟!..مات أغلبهم قبل أن يحل العام ألفين..هل سيفنى العالم أم ستقوم حرب عالمية ثالثة؟!أم أن بعد الزمن عن الإنسان قد يحمل دلالات المجهول..والمجهول دائما عندهم مخيف ومرعب ولا يبشر بأي خير..فلتأتِ بما تحمله يا عام ألفين.

٣٧

أمسك بجهاز المحمول وراح يضحك ويقول:-

سـبحان الله..بقى ده اللي كان أمله..بقى شعبي وكل من هـب ودب شـايله وبالسرعة دي..خمس محلات حوالينا بيبيعوه..بكرة يبقى في كل حارة وزقاق

قال "محسن":-

الدنيا بتتطور يا عمو بسرعة.

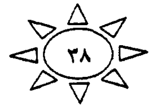
خلاص يا سي محسن ماعدش ينفع الشغل في المهبب ده.

صمت "محسن" لحظة ثم قال زوج خالته:-

- الحاج همام عنده حق يا محسن..احنا لازم نغير النشاط كله
- ازاي بقى يا أستاذنا ؟!.
- المول..موضة الأيام دي..تبيع الفيلا بتاعة الساحل الشمالي وأهي هتجيب مبلغ وقدره..ونشتري حتة أرض البنك عندنا عارضها للبيع ضمان دين وناخد سلفة و ....
- لأ يا حبيبي انت مش شايف فلوس البنوك عملت ايه في ناس كتير..خربت بيوقم.

قال هامساً:-

- بس يا حاج همام..مش كل كل ولا أي أي..فيه ناس هبرت هبرة كبيرة وخلعت على برة..اسألني انا عن اسرار البنوك.
- يعني ايه ؟!
- مش هنخسر حاجة..نشتري حتة الأرض وناخد مبلغ ضمان بيها..ونبني عليه المول..ونعمل شركة تضامن تكون كبيرة.
- ومين الشركا بقى ؟!.
- حضرتك ومحسن..ومدام ضحى ومنير ابن عم حضرتك.



نظرت إليه وضحكت في هيستريا وقالت:-

- دي فكرة بمليار جنيه يا همام.
- المليون ما عادش له قيمة..ده بيتكم اللي في الزقازيق جايب اتنين مليون جنيه.

نظر إليها في دهشة وسألها قائلا:-

- مين اللي قالك.
- مرات منير..أصل منير لما كان في الزقازيق آخر مرة..أخوه وأخوك قالوله كدة..فيه واحد اسمه..اسمه.
- المعلم رجب؟.
- أيوة المعلم رجب.
- سبحان الله..الزقازيق اللي كانت زي القمقم بقى فيها ملاين..رجب الكرسجي..اللي كان بيخطف اللقمة من بق عياله..بقى بيلعب بالملاين.
- قول لنفسك يا همام بيه.
- يعني انتي موافقة على المشروع اللي قال عليه جوز اختك ؟.

هو بيفهم في لعبة البنوك..ويا بخت من فاد واستفاد..لما تدي مدير البنك خمسة في المية من قيمة القرض..تعليه لفوق..فوق قوي.

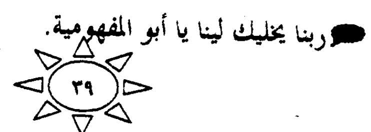
والله يا زمن فيه اللعب على المكشوف.

قلت ايه.

قلت لا اله الا الله..موافق.

راحت تقبل رأسه ويديه وأكتافه وقالت في نشوة:-

ربنا يخليك لينا يا أبو المفهومية.



راح يصرخ بصوت عال على "سمير" وزوجته "نجاح" فخرجا مفزوعين..فأخبرهم ان "ابتسام" على وشك الولادة وأن وجهها قد تغير لونه وبدى جسدها كله أزرق اللون..فسأله عن الدكتورة "زينات" فأخبرهم أنها في مؤتمر للأطباء بالقاهرة..فحملاها في سيارة "سمير" وذهبا بها إلى المستشفى الجامعي وما أن رآها الطبيب قرر دخولها العناية المركزة.

سهر الجميع حتى صباح اليوم التالي وروزقا بمولودة اسماها "بسام"

"صـــباح" علـــى اسم شقيقته رحمها الله..وبعد ساعتين من ولادها فارقت الحياة على أثر تسمم حمل.

راح "بسام" يلطم وجهه ويردد في هيستريا:-

● جيبتيلـــي مصـــيبة يا ابتسام وسيبتيني..هو أن حمل نشأت لـــواحده عشان تجيبيله أخت ويتكتب عليهم يتحرموا من الأم.

دفنها بجوار أمه بعد أن انقطعت من الدنيا إلا من قريبتها "زينات". أخـــذت "نجـــاح" المولـــودة وراعـــتها وراح "بســـام" في نوبة من الحـــزن..يبكـــي ليلا ونهارا ويحدث نفسه في ذهول..وما أن عادت "زيـــنات" راحـــت تلطم وجهها على قريبتها الوحيدة الباقية لها في الدنيا..وقبل أن يحل الليل راحت تلملم ملابسها وحاجاتها حتى تقيم بـــداخل المستشفى فرجاها "بسام" ألا تترك البيت فهي الباقية له من رائحة زوجته فرفضت في بادئ الأمر فألح عليها قائلاً:-

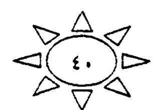
● ده انتي الشمعة اللي كانت منورة دنيتنا يا زينات.

قالت وهي تعتصر من الألم:-

● وانت صاحب الفضل عليا ووصلتني للي أنا فيه

● خلاص..عشان خاطري ما تسيبيش البيت وأنا هانام عند

أختي نجاح لحد ما ربنا يسهلها من عنده.



حدثه "سمير" تليفونيا في اليوم التالي فأتى إلى الزقازيق مسرعا ليقدم واجب العزاء لابن عمه "بسام" ثم راح يبكي عندما رأى ابنه "نشأت" متزويا في أحد أركان المترل ويبكى بكاءً شديدا..ثم جاءت ابنة عمه "نجاح" وقدمت له المولودة "صباح" وقالت:-

- صباح..على اسم حبيبتك الغالية صباح الله يرحمها يا فريد

راح يقبلها وقد فرت الدموع من عينيه فقالت "نجاح" في حزن:-

- سبحان الله جت للدنيا يتيمة..يا مشوارها الطويل.
- البركة فيكي يا نجاح يا بنت عمي..دي شايلة اسم الغالية.
- ربنا يقويني.

سرعان ما حضرت "زينات" ودعته للغداء في مترل "بسام" فثارت "نجاح" في وجهها وقالت:-

- ليه يا اختي..هو مافيش أكل في بيت أخوه وبنت عمه.

شعرت بالحرج البالغ فنظر إليها "فريد" وقال مجاملا:-

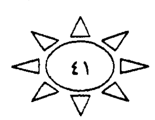
- مافيش فرق يا بنت عمي..الواجب اني آكل لقمة في بيت

ابن عمي..أخوكي بسام.

قالت فى ضيق بالغ :-

● على راحتك يا أبن عمى.

توجهوا إلى شقة ابن العم وتناولوا الغداء جميعا وكانت السفرة معدة بشكل راق فأدركت أن "زينات"قد تبدلت سلوكياتها من سلوكيات الطبقة الشعبية إلى سلوكيات الطبقة الراقية فمشوار تعليمها كان له الـــتأثير الـــبالغ فى حياتها ووظيفتها المرموقة كطبيبة أمراض نساء لها طموحاتها..ولكن ماذا سيكون موقعها من ذلك البيت.



ذهـــب إلى ابن عمه "همام" وجده غارقا فى أوراق ورسومات وأمامه مهندس يشرح له فرحب به وقال :-

● وشك ولا وش القمر .

نظر إليه "فريد" ثم نظر إلى الأوراق وعندما لاحظ "همام" قال:-

● رسومات المول الجديد نقلة جامدة فى حياتي يا فريد..خلاص هبقى من رجال الاستثمار بجد

مال "فريد" إلى أذنيه وأبلغه بوفاة زوجة أخيه "بسام" فتغيرت ملامح وجهه وقال:-

- إنا لله وإنا إليه راجعون..الموضوع ده إمتى و إزاى.
- من يومين وهى بتولد.
- بتولد ؟! معقول وهى فى السن ده وجابت إيه.
- صباح.

مجرد سماعه الاسم وضع يده على رأسه وقال:-

- سبحان الله لينا نصيب نسمع الاسم ده من تانى.
- مش هتروح تعزيه.
- هبعتله تلغراف.
- ده انت أبو الواجب يا كبير عيلة وسام .

راح يداعب وجهه بيديه وقال:-

- ماشى يا فريد بس تيجى معايا.

٤٢

راحت تلطم وجهها وتصرخ وتقول:-

- معقول يا ناس يبقالى ابن وأتحرم منه ده واد واحد اللي

إترجيناه من الدنيا

● هــو اللي اختار إنه يبعد عننا جمدى قلبك زى ما قلبه جمد ناحية أبوه وأمه .

● لالا يا منير إنت قلبك حجر.

جــاءت "ضــحى" وأختها "أميمة" وراحا يهدئنها وعرضت عليها "ضحى"أن توفر لها ثمن تذاكر السفر إلى أمريكا ولكن "منير" رفض رفضا باتا وقال:-

● الحكاية مش حكاية فلوس.

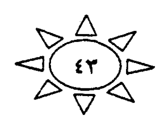
قالت فى عصبية:-

● لا حكايــة فلوس يا منير وأهي الفلوس اتوفرت ومش من حد غريب من أختي حبيبتي .

● أنــتي فاكــرة إن أمــريكا دى زي مصــر والــزقازيق والمنصورة..دى دنيا تانية هتروحى تدوري عليه فين وإزاى.

● هحاول واللي يسأل ميتهوش.

● لا يعنى لا لو عايز يشوفنا يجيلنا هي دى الأصول مفهوم



أمسكت بطفلها وألقت به إلى أمها التي نظرت إليها في اعتراض وبدأ وجه زوجها يكفهر وبدأت أعصابه تفلت منه وتفوه بألفاظ لم يتفوه بها من قبل وقال:–

- بقى انتي أم انتي..ولا أم الخلول..إيه يا وسام..في حد يرمي ضناه كدة.

لم تتراجع عن حدها وعصبيتها وقالت:–

- أم الخلــول..أم قويق..انت ضحكت عليا..قتلت طموحي وخنقتني..أنا ما انفعش أكون أم..

عاتبــتها أمها وراحت تحايلها ولكنها بدت وكأن عفريتا قد ركبها وخرجت من باب البيت وتصرخ في هستريا وتقول:–

- أنــا رايحة أكلم فريد أخويا..لازم يجي يشوف له صوفة..أنا مش شغالة ولا مربية أطفال.

نظر إلى حماته ضاغطا أنفاسه داخل صدره وقال:–

- يعجبك كدة يا حماتي.

التــزمت الصمت ورفعت الطفل "فريد" على كتفها ودخلت به إلى حجرتها وراحت تبكي.

حضــر "فريد" في المساء إلى بورسعيد وبدأ يحس بمشاكل..مشاكل المرأة التي لم يكن يحمل لها هما أو يفكر فيها قبل أن تلدها أمها..ظل يفكر طوال الطريق..ماذا سيفعل حيال ذلك الأمر..زوج أخته رجل محترم..اختارته بنفسها على خلفية حب طفولتها وصباها.

وصـــل إلى البيت..ارتمت في أحضانه وراحت تبكي..حاول تهدئتها وحمـــد الله أن زوجها خارج المنزل حتى يستطيع تفهم سبب غضبها وإلحاحهـــا على حضوره إلى بورسعيد..تحدث مع أمه..ألقت باللوم عليها وقالت:-

- دي غلطـــتي من الأول..أنا اللي دلعتها..كنت فرحانة بإنها بـــنت واتمنتها من ربنا عشان تبقى قريبة مني..لكن بقت زي الغول.

راح "فـــريد" ينظـــر إليها صامتا حزينا..المرة الأولى التي يواجه فيها موقف كهذا ثم قال لهما:-

- يعـــني انـــتم جايـــبني علـــى ملا وشي عشان إيه..عشان أصلحها؟!..إذا كانت هي راكبة دماغها..يعني أطلقها؟!.

فال الله ولا فالك يا ابني..الموضوع ما يوصلش لكدة يا فريد.

صرخت في وجههما وقالت:-

إذا كان ده الحل أنا موافقة إني أطلق.

نهرها قائلا:-

ليه ده كله..عشان ترجعي تلفطي بكلمتين في الجرنان..لا هينقصوا القارئ ولا هيزودوه..فوقي لنفسك بقى يا شيخة.

مازالت في عصبيتها وغضبها تثرثر وتقول:-

برضة لازم أرجع أكتب..دي حياتي يا ناس..اسمعنى انت بتكتب..تقدر تمنع نفسك عن الكتابة يا أخويا يا كبير.

ده أكل عيش والوضع مختلف..انتي دلوقتي ست بيت وعندك عيل وليكي زوج انتي مسئولة منه.

راحت تلطم وجهها وتلقي بنفسها على الأرض كالمجنونة وأمها تبسمل وتحوقل وتقرأ آيات من القرآن.

حضر زوجها ورحب بـ"فريد" ثم دخلا إلى حجرة الصالون وأغلقها عليهما وراح "فريد" يطيب خاطره ويلتمس لها الأعذار وزوجها يسمع له حتى أنهى كلامه فقال:-

● يـــا أســـتاذ فريد أنا اتجوزت وسام عن اقتناع..أنا صحيح وعـــدتها إنهـــا تستمر فى هوايتها فى الكتابة لكن الواقع فرض علينا أنها تراعى ابنها أنا بتهد فى الشغل ليل ونهار عشان أوفر لها هي و ابنها حياة كريمة.

لم يســـتطع "فريد"الرد أو التعليق وهو على يقين أن الرجل على حق لكنه رجاه أن يسمح لها ولأمها بمرافقته لمدة يوم أو يومين حتى تهدأ النفوس فوافق زوجها وقال:-

● إذا كـــان ده هيريحهـــا أنا معنديش مانع بس مش أكتر من يومين ثلاثة.

وعـــده "فريد"بذلك وذهب ليستريح فى حجرة أمه التى ظلت تبكى طوال الليل وترجوه الأ يسافر فهي لا تريد ترك ذلك المترل والذي يشبه بيت زوجها الذي يحمل أجمل ذكريات عمرها مما جعل "فريد" يشـــعر بالضـــيق لـــتعلقها بـــزوجها المـــتوفى بقدر يزيد عن أبوه المتوفى..شعور بالغيرة تجاه أمه يتجدد مع كبر سنها وشيخوختها التى بـــدأت تظهـــر ملامحها على هيئتها ومشيتها..ثم راح فى نوم عميق استعدادا للسفر فى اليوم التالي إلى القاهرة.

على صرخة مدوية أستيقظ "فريد"مفزوعا فقد تركت الأم حجرتها فى

الفجر ..صلت الفرض..ثم مالت على جنبها وفارقت الحياة ..فزع زوج "وســـام" وجـــرى "فريد" على التليفون ليتصل بأخويه وأبناء عمـــه..وقبل الظهيرة قد حضر الجميع رجال ونساء..وأعد جثمان الأم للدفن فقرر زوج "وسام"أن يدفنها مع أمه فى مقابرهم ببورسعيد فثار "همام" وقال:-

● ليه يا عمنا هى مقطوعة وملهاش أهل عشان تدفن فى مدافن الصدقة.

● يـــا همـــام بـــيه مش مدافن صدقة هتدفن مع أمى فى مقابر الأسرة..إحنا عيلتنا كبيرة صعايدة ولينا عزوة.

ثـــار "همـــام" مرة أخرى وقد لاحظ "فريد" أن أغلب المعزيين الذين حضـــروا لتشـــييع الجـــثمان من عمال هيئة قناة السويس ملامحهم الصـــعيدية تنم عن قسوة وقد بدوا متحفزين فهمس "فريد"فى أذن "همام" قائلا:

● دى وصـــيتها يـــا فريد إحنا مش عاوزين مشاكل عاوزين نسترها وكلها أرض ربنا.

بدأ "همام" يخفف من حدة حديثه وقال:-

● وإيه اللى يأكد أن وصيتها إنها تدفن هنا.

قال زوج "وسام"فى تأكيد :

أسالوا وسام بنتها.

فسألها "همام" فالتزمت الصمت وسرعان ما شيع الجثمان ودفنت فى مدافن بور سعيد بجوار أم زوجها.

أقـــام زوج "وسام" سرادقا للعزاء ضخم..ورفض أن يأخذ أي نقود من أولادها وقال:-

دى كانت فى معزة أمى وأكتر كمان مشفتش منها إلا كل طيب يا ريت بنتها كانت طلعت زيها.

شعر "فريد" من كل منهما أن العشرة ستكون مستحيلة بينهم خاصة بعد موت الأم التى كانت حمامة السلام التى ترفرف على حياة ابنتها وزوجها.

فى وقـــت متأخـــر من الليل غادر الجميع مدينة بورسعيد بعد أداء واجب العزاء وظل "فريد" مع أخته فى بيت زوجها حتى صباح اليوم التالى ثم طلب منه أن يصطحبها معه لقضاء عدة أيام فى القاهرة حتى تستقر نفسيتها و تخفف من أحزانها فوافق زوجها وقال:-

بـــس يا ريت متتأخرش أنا مش هاحددلها أيام لكن بعد ما تحس أنها إرتاحت هنتظرها ترجع تنور بيتها.

شقة "فريد" احتوتهم مرة أخرى..كانت ترافقه مع أمه لكنها سافرت وعادت بدون أمها..مع أبنها الذي راح ينادى "نينة-نينة"يجوب كل غرف البيت ليبحث عنها..بكى وبكيت..قال فى حزن:-

- أنـــا كنت فاكر إن أمك لا يمكن تموت كانت زي الشمس بينا كانت عوض عن أبويا و أبوكى لكن سبحان الله.
- متقلبش عليا المواجع يا فريد.
- المواجع عليا وعليكى سنة ألفين كلت أتنين من العيلة مرات بسام ابن عمى و أمنا..يا ترى مستخبيلنا إيه تانى.

دامت لحظة صمت بينهما ثم قال :-

- لو قلتلك أنتي ناوية تقعدي كام يوم هتفهميني غلط.
- أنـــا مش عارفة يا فريد..بس أنا مش طايقة أرجع البيت ده تانى.
- أمال ناوية على إيه
- برضه مش عارفة .
- لعلمـــك أنا يعز عليا البلد والبيت بتاعك..كانوا معنى جميل فى حياتى ومش مستعد أن المعنى ده يضيع.
- أنا كمان بحب البيت والبلد..لكن .....

● إيه..إتخدعنى فيه وحسيتي إن حب الطفولة والصبا وهم وإن الجواز حقيقة بتضيع معانى بتبقى جميلة طول ماحنا بعيد عنها.

● برضـــه مـــش عارفة..سيبنى أرتاح النهاردة وبكرة هأقولك وأجاوبك.

راح يتنهد فقالت :-

● إنت إللى علمتنى الجدل والغلبة والكتابة.

● يا ريتنى ما علمتك

● معـــدش يـــنفع الندم..تصبح على خير يا أخويا يا سندى يا اللى باقيلى فى الحياة.

كلماتها رغم سمو معانيها وحنوها إلا أنها حيرته فقربها منه وإرتياحها له وشعورها بالأمان معه يجعلها تستغنى عن زوجها.

فى اليوم التالي فوجئ بحضور"همام" ومعه رجل يحمل عدة كراتين بها مواد غذائية من سمن وسكر وزيت ومستلزمات رمضان من واميش وخلافه رحب به وقال "فريد" على استحياء:-

● إيه ده كله يا همام.

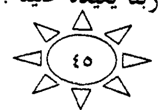
● فضلت خيرك..رمضان باقيله أسبوع..وعلى فكرة الحاجات
دى مش لك دى لأختى وسام الغالية بنت المرحومة الغالية .
تأثرت "وسام" وقامت من مقعدها وقبلت جبينه فاغرورقت عيونهم
جميعا بالدموع فقال "همام" مازحا حتى يلطف الجو:-
● علـــى فكـــرة يا وسام أنا أول مرة أعرف أن جوزك أصله
صعيدي وسامحينى يا أختى إن قولتلك إن دماغه ناشفة قوى
قال "فريد":-
● ودماغها أنشف من دماغه هى شرقاوية والشراقوة ولاد عم
الصعايدة.
قال "همام" فى تردد:-
● أنا كنت جاى عشان أعزمكم على الفطار أول يوم رمضان
إنتم الأثنين ووسام بنت نجاح أختى وجوزها.
نظر "فريد" إليه متأثرا وقال :-
● وأدى رمضـــان الســـنة دى جاى وناقصنا واحد أمى إللى
كانت بتفرح باليوم ده.
قالت "وسام" فى تأثر وتلقائية :-
● أجمل أيام رمضان كانت فى بيت العيلة القديم..والجديد .

قال "همام" فى حماس :-

- خلاص نقضى أول يوم فى بيت العيلة

سأله "فريد" فى لؤم وتمنى :-

- بس هنبقى لوحدنا يا ريت يكون معانا سمير ونجاح و .....
- سمير ونجاح أه لكن بسام لا.
- خلاص خلينا فى العزومة اللي هتعملها فى بيتك يا ابن عمى.
- على خيرة الله وربنا يعيده علينا بخير.



اتصل "همام" قبل رمضان بيوم واحد بأخته "نجاح" وألح عليها لتحضر هي وزوجها "سمير" فوافقت على الفور وأقنعت "سمير" الذي رفض فى بادئ الأمر لكنه وافق تحت إلحاح منها فقالت:-

- يبقى أخونا الكبير اللي زي أبونا موجود على وش الدنيا ونقاطعه يا سمير.
- هو اللي عاوز كده .

● إنسي بقى ده الناس الغرب المتخاصمين بيصطلحوا فى الأيام المفترجة.

سألها فى لؤم :-

● وبسام و.......

● خليك فى حالك ..بسام بقى واخد جنب من يوم ما ابتسام ماتت..والمخفية قريبتها اللي معندهاش دم مسيطرة عليه..معقول تقعد مع راجل عازب لوحدهم.

● ما قولنا إحنا داخلين على شهر فضيل إذا كان عندك كلمة حلوة قوليها

٤٦

جمعتهم السفرة في بيت "همام"..خلت وجوههم من السعادة..يؤدون واجب فقط.."همام" يريد أن يصل الرحم الذي تقطعت أوصاله..ترك أربع مقاعد خالية وراح ينظر إليهم ويبكي..بدا ضعيفا أمام عاطفته..دهش الجميع لعباراته عندما نظر إلى المقاعد وقال:-

● لو رجع بينا الزمن..كانت دي قاعد عليها عمي وسام وأمي ومرات عمي وصباح.

انطلق المدفع..كلهم يأكلون بثقل وبدون شهية..بدا اليوم ثقيلا رغم بركات الشهر الفضيل.

ثم قاموا وجلس كل متفاهمين في مقعدين متجاورين ..يحكون ويعلقون..ينتقدون ويسخرون ويتمنون..وسرعان ما مرت الليلة وعاد كل منهم إلى بيته.

راح "فريد" ينظر إلى أخته "وسام" التي جمعت قصاقيص من الجرائد تحمل صور "محمد هنيدي" و"محمد فؤاد" و "إيهاب توفيق" و"مصطفى قمر" وغيرهم من جيل الشباب الذي فرض نفسه على الساحة الفنية..بدأت تكتب مقالها فسألها "فريد" قائلاً:-

● انتي ناوية تكتبي تاني.

● طبعا ده الأمل اللي أنا عايشة عليه.

● وهنتشريه فيه.

● في الجورنال الجديد اللي انت بتشتغل فيه.

● أفهم من كدة انك مش ناوية ترجعي لجوزك.

صمتت لحظة وقال:-

● مش عارفة يا فريد.

● لا لازم تعرفي يا وسام..أحنا في شهر فضيل ومش معقول

جوزك يقعد لواحده..يالا نسافر انا كمان مشتاق لرمضان في بورسعيد.

٤٧

الأيام تمر والكل يدور في ساقية..ولى عام ألفين ودخلنا للرقم واحد الذي يضاف إليه ليصبح ألفين وواحد..رقم واحد لا يتكرر إلا كل ألف عام مع رقم مقفول..سيتكرر عام ثلاثة آلاف وواحد.

صراع الإنسان مع المستقبل في تكنولوجيا سريعة مجنونة لخدمة البشرية لكن الإنسان يستغلها أسوء استغلال..كل تكنولوجيا جديدة تأتي من إلهام نظيف..ولكن سرعان ما يسكنها الشيطان الذي يخطف سعادة البشرية في تلك.. الاختراعات ليحولها إلى مآساة..الانترنت مثلا أصبح مجالا فسيحا لإظهار شرور البشر..مبالغات وأفكار غير معقولة تفرض على مستخدميه..تشويه للأديان والثوابت.

"فريد" كتب ذلك في مقاله الأسبوعي..ثم راح يدون تعليقاته على أسرته..أسرة العم "وسام..الأم افتقدها والشقيقة تائهة هي وابنها.."همام" يجري بسرعة الصاروخ لأعمال مشروعة الجديد

حسابته اختلت..فكر أن يبيع بيت العائلة في الزقازيق فوقف له "بسام" بالمرصاد بل وصل الأمر إلى المحاكم..كل منهما يريد الحصول على نصيب الآخر عنوة..ثم بدأت ديونه تتراكم في البنوك التي فتح لها الباب زوج "أميمة" شقيقة "ضحى" زوجته..الابن "وسام مازال أمره مجهولا على أسرته..يرسل لهم خطابات فقط..لا يعرفون عنه شيئا سوى أنه حي يرزق..أي رزق؟!..ماذا يعمل وفي أي شيء؟!..جعل هذا الأمر سرا بينه وبين نفسه.

"بسام" أحضر دادة لتقيم معهم لتراعي أولاده وحتى تكون كالمحرم بينه وبين "زينات" التي حصلت على الماجستير..خلافات مستمرة بينه وبين "سمير" و"نجاح" على العمل..مما جعلهم يفكرون في فض الشراكة وتتناثر أشلاء أبناء العم "وسام" وتنقطع أوصالهم.

لم يمر عام الألفين على خير على مستوى الأسرة وعلى المستوى العام..خاصة بعد حدوث كارثة الحادي عشر من سبتمبر..طائرات يقودها انتحاريون تضرب برجي التجارة العالمية في أمريكا ومقر البنتاجون فأصبح العالم على حافة حرب عالمية ثالثة..حتى تتغير خريطة العالم بمفاهيم العولمة الحديثة.

راحت تلطم خديها وتصرخ وتقول:-

● ابني وسام يا منير..ابني وسام يا اخواتي..أنا حالمة انه وقع في بير غويط..الحلم اتحقق..الواد راح..الواد راح.

تمت بحمد الله

١١ رمضان ١٤٢٧ ٤ أكتوبر ٢٠٠٦

إلى اللقاء في الجزء الخامس انشاء الله

رقم الإيداع

الكاتب في سطور

* عادل عبد المجيد القنصل.
* مواليد ١٩٤٩/٧/٢ الزقازيق.
* لواء شرطة سابق.
* حاصل على ليسانس الحقوق وليسانس الآداب لغات شرقية
* مؤلف بالإذاعة والتليفزيون و عضو اتحاد الكتاب.
* صدر له مجموعات قصصية:-

وابور أبو النور-قلعة صقر-جدي وجدتي-حياتنا-جلابية راشد-نقطة الصمت مأمورية زفاف عفاف-قيد الخضر ضد عفريت-مفاهيم محتاجة تفهيم ١، ٢ على رصيف سيبس-نور الدين والكلب عنتر-احوال العباد في زمن العناد.

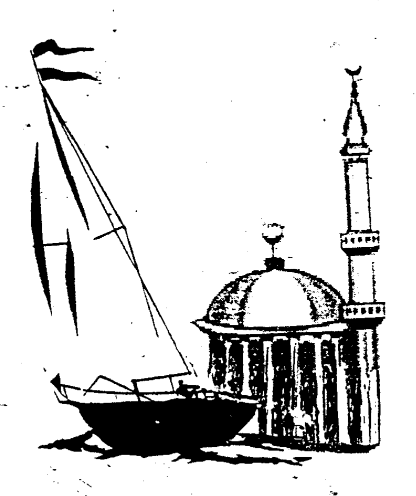
* روايات:-

سجين زفتى-الولد رومانسي-عطر العرافة-البوابة-زهرة الفصول-أرنب سرق عمري-سقطة في زمن السيد ياغمور-جعفري وبديع العنتري أبناء العم وسام ١، ٢، ٣، ٤ -كمساري قطاع خاص-الحبل والقارب١-م.صاوي الراوي١٩٩٥-اطراف مدينة-أوراق نادرة-الحبل والقارب٢حورية البحيرة

* قيد النشر:-

٤-الحبل والقارب٣ -صمام حربي-حورية البحيرة٢-فراشة البراري-قلوب مسنة-راس العش-طائر الشتاء-بيت الشيخ غزال-أبناء العم وسام ٥

بورسعيد حي ٦أكتوبر ع٨٠ ش١٥



الحبل والقارب

رواية في أجزاء

الجزء الثالث

شالله يا سيدي الغريب

رواية
عادل القنصل